الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة منتوري – قسنطينة –

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية و آدابها

فن السيرة في الأدب العربي الحديث
حياتي لأحمد أمين (أنموذجا)

مذكرة معدّة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد :
أمينة بوحناش
نادية بوتارية

إشراف الأستاذ الدكتور :
عبد السّلام صحراوي

شعبة الأدب العربي
تخصص الأدب العربي الحديث و المعاصر

ماي 2011م

دعـــــــاء

يارب ...

إذا أعطيتني مالا ... فلا تأخذ سعادتي

وإذا أعطيتني قوة ... فلا تأخذ عقلي

وإذا أعطيتني جاها ... فلا تأخذ تواضعي

وإذا أعطيتني تواضعا ... فلا تأخذ عزتي

وإذا أعطيتني قدرة ... فلا تأخذ عفوي

١٣٩٨

شكـــــــــــــر و تقدير

نتقدّم بالشّكر لكل من كان لهم الفضلُ في مساعدتنا لإنجاز هذا العمل، عرفانًا بجميل فضلهم،

و نتقدّم بكلمات الشّكر و التبجيل للأستاذ المشرف الدكتور:

« عبد السلام صحراوي » الذي استفدنا من غزير علمه

فجزاهم الله خير الجزاء و أثابهم أجرًا عظيمًا.

مقدمـــــــــة

مقدمة:

كان ولازال أدبنا العربي يزخر بفنونه وأجناسه الأدبية المتعددة وذلك منذ القدم، فتعددت فنونه سواء النثرية أو الشعرية، وذلك بتعدد كتّابها ومؤلفيها، فهناك من يسير على نهج الكتابة الشعرية، وآخر على نهج الكتابة النثرية والتي كثرت ألوانها وأغراضها مثل: المقالة والقصة والمسرحية والخطابة والرواية والسيرة. وهذه الأخيرة التي يدور حولها موضوع بحثنا هذا وهي نوع من الأدب الذي يجمع بين التحري التاريخي والمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصية معينة.

والسيرة تناسق وتناغم ما تحمله من متناقضات، وحياة رغم ما تحمله من دواعي الموت والفناء، إنّه البقاء في ساعة الموت والانتصار لحظة الانهزام والتفوق وساعة الفشل والأمل حال اليأس، وهي أيضا عين الفرقة والشتات إثر الالتقاء وعطاء حال الجذب والكرم عند الحاجة.

والسيرة انتقال، رحلة في طريق البحث عن الوجود وعن الحياة وهي فضاء للموت والحياة يبنى على أنقاض فضاء آخر، موطن يهجر وموطن يكتسب، وأرض تفارق وأخرى تغتصب وأرض تمنح وأرض تنهب.

وهي زمن ماض تغمره الأمجاد، وزمن يليه المصاعب وزمن ماض آخر يصنعه الترحال والصراع وزمن حاضر شدده الحروب، وزمن مستقبل فيه من الاستقرار ما يبنى على أنقاض هذه الأزمنة أو تلك. وهي قبل ذلك شخصيات تملأنا وتمنحنا القوة والمجد، وأخرى تدفعنا لكل حماسة للحرب وثالثة تبهرنا.

وليس فن السيرة من مبتكرات عصرنا الحاضر بل هو عريق في القدم عرفه العرب منذ صدر الإسلام وأقبلوا عليه أيّما اقبال، فكان لنا منه على توالي الأجيال عدد من المؤلفات يملأ بعضها مجلدات كبيرة، ومنها العام أي الذي يتناول أشخاص كثيرين ككتاب " الطبقات" لابن سعد وكتاب الأغاني لابن فرج الأصفهاني، ومنها الخاص كالسيرة النبوية لابن هشام، والإنصاف والتحري لابن العديم.

وهي تتناول جانبا من الأدب العربي عامرا بالحياة نابضا بالقوة، وأن هذا اللون من الدراسة يصل أدبنا بتاريخ الحضارة العربية، وتيار الفكر العربي، والنفسية العربية لأنه صورة للتجربة الصادقة الحية التي أخدنا نلتمس مظاهرها المختلفة في أدبنا عامة وهذا ما دفعنا لاختيار هذا الفن دونا عن غيره نظرا لأهميته والفائدة التي يعود بها علينا وذلك من معلومات وأبار لأعلام كان لهم

شأن كبير فيما مضى، فلولا فن السيرة لكان هؤلاء من الغابرين مثل: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لولا فن السيرة لبقي هذا الجيل والأجيال اللاحقة جاهلا لهذه الشخصية، وجاهلا لمدى أهميتها عند المسلمين والعرب، وفي التاريخ الإسلامي، وكذلك من الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا الموضوع هو عدم تطرق الباحثين والطلبة إلى دراسة هذا الفرع من الأدب بالرغم من أهميته.

وأثناء عملية البحث راودتنا بعض الأسئلة التي لربما تكون الركيزة الأساسية التي يقوم عليها بحثنا هذا ولخصناها فيما يلي: كيف نشأت السيرة في الأدب العربي الحديث؟ وما هي مفاهيمها؟ وغيرها من الأسئلة.

ولعل كل باحث أثناء بحثه تصادفه مجموعة من الصعوبات والعثرات التي تجعل من بحثه فيه نوع من النقصان والثغرات، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا أثناء بحثنا هذا، نقصان المصادر والكتب التي تتضمن فن السيرة بصفة عامة، وكذلك عدم تطرق الباحثين إلى دراسة هذا النوع من الفن في شكل مذكرات، فلم نجد المنهجية المناسبة التي نتتبعها، ولكن بالرغم من هذه الصعوبات استطعنا من خلال جولة بحثنا أن نحدد المنهج المناسب لهذا النوع من البحوث ألا وهو المنهج التاريخي، والذي يهتم بتحليل مختلف الأحداث التي في الماضي ومحاولة تفسيرها للوقوف على مضامينها العلمية لتحديد تأثيرها على الواقع الحالي للمجتمعات. ويعتمد المنهج التاريخي في حوصلة المعطيات وجمعه للمعلومات على مصادر أولية وثانوية تتمثل في الوثائق أو السجلات أو الآثار المتعلقة بحضارات سابقة. وإن اختيارنا لهذا المنهج لا يأتي نتيجة وإنما أكيد بأنه المنهج الأفضل للتحليل.

ثم انتقلنا إلى وضع خطة للبحث نجيب فيها على أسئلتنا السابقة فجاء هذا العمل مقسما إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

فالمدخل أهم ما يصبو إليه الوقوف عند المفاتيح المتعلقة بهذا البحث فعنوناه بنشأة فن السيرة، وذلك في عنصرين أساسيين الأول يتحدث عن السيرة في حدود الأسطورة والتاريخ، والثاني يتناول السيرة عند العرب والغرب.

بعد هذا يأتي الفصل الأول المعنون بمفهوم فن السيرة وعلاقتها بالفنون الأخرى، وهذا الفصل ينقسم إلى مبحثين، الأول تحت عنوان مفاهيم السيرة ويتضمن مفهوم السيرة من الناحية اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية، ومن ثمّ يليه أنواع السيرة التي تنقسم إلى نوعين سيرة ذاتية، وسيرة موضوعية أو غيرية، فالذاتية تنقسم بدورها إلى أنواع، وهي التي يتحدث فيها الكاتب عن

نفسه وتجربته الخاصة مثل: الأيام طه حسين، وحياتي لأحمد أمين، وأنا العقاد، أما السيرة الموضوعية فهي بدورها تنقسم إلى أنواع يتحدث فيها الكاتب عن سيرة شخص ما مثل: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تناولها ابن هشام، وبعدها تطرقنا إلى خصائص السيرة.

أما المبحث الثاني الذي عنوانه كتابة السيرة وعلاقتها بالفنون الأخرى، قسمناه إلى جزئين، الجزء الأول تحدثنا فيه عن كتابة السيرة، وصنفناه إلى خمسة عناصر لابد لأي باحث أن يمر بها وأن يتطرق إليها.

في البداية تحدثنا عن عنصر الموضوع والذي من خلاله تتضح لنا الشخصية المختارة لتكون موضوع البحث، ثم نأتي إلى عنصر آخر وهو عنصر البحث وفيه يجمع الباحث المعلومات حول موضوعه أو الشخصية التي يدور حولها بحثه من حياته ومؤلفاته وغيرها. ويليه بعد ذلك عنصر النقد فعلى الباحث أو كاتب السيرة أن يكون كاتبا وناقدا في الوقت نفسه فعليه أن يقوم بنقد المادة التي قام بجمعها أثناء بحثه حتى تكون لديه مادة ذات منهجية صحيحة وذات معلومات دقيقة حول الشخصية المراد دراستها، وبعدها نصل إلى التحليل النفسي والذي فيه يتطرق الكاتب إلى دراسة لنفسية الشخصية التي هي محور البحث، من عواطف وميول ورغبات وإلى الظروف التي مرت بها الشخصية سواء كانت ايجابية أم سلبية، وأخيرا نصل إلى عنصر الزمن وفيه يكون الكاتب ملزم بالتقيد بترتيب الزمن فيذكر المراحل الأولى للشخصية حتى نهايتها.

أما الجزء الثاني فيتحدث عن علاقة السيرة ببعض الفنون الأدبية، كعلاقتها بفن الرواية وفن القصة.

أما الفصل الثاني فهو عبارة عن دراسة تطبيقية، قمنا أولا بدراسة شاملة لسيرة أحمد أمين(حياتي). وأول ما تطرقنا إليه هو اعطاء تعريف للكاتب وبعدها لخصنا سيرته، ثم درسنا أسلوبه والروعة الفنية، وفلسفته،وشخصياته وتطرقنا إلى دراسة البيئة والعادات التي عاش فيها الكاتب وصولا إلى التصوير النفسي.

وبعد انتهائنا من هذه الدراسة تطرقنا إلى دراسة نماذج أخرى من السيرة بنوعيها الذاتية والموضوعية وهي سيرة " سبعون" لميخائيل نعيمة، وسيرة " الأيام" لطه حسين، وسيرة " جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة.

وفي الأخير نصل إلى الخاتمة، التي فيها نستخلص جل النتائج التي توصلنا إليها من خلال جولة بحثنا.

وقد اخترنا بعض المصادر والمراجع التي وجدنا فيها ضالتنا والإجابة على الأسئلة التي تبادرت إلى أذهاننا ونذكر منها: كتاب السيرة تاريخ وفن لماهر حسن فهمي، وكتاب فن السيرة لاحسان عباس، وكتاب فن السيرة الأدبية لإدل ليون، وكذلك اعتمدنا في دراستنا التطبيقية على كتاب حياتي لأحمد أمين هذه المصادر وغيرها التي رجعنا إليها وساعدتنا في بحثنا هذا.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف الدكتور عبد السلام صحراوي، الذي شرفنا بإشرافه على بحثنا هذا، والحق أنه بذل معنا جهدا لا يقل عن جهدنا، وله الفضل فيما وفّقنا فيه.

والله المستعان.

مـــــــدخل

نشأة فن السيرة.

1 - السيرة في حدود الأسطورة و التاريخ.

2 - السيرة في الأدب الغربي.

3 - السيرة في الأدب العربي.

أولا: السيرة في حدود الأسطورة و التاريخ.

إذا كانت الجذور البعيدة للسيرة ترجع إلى محاولات البحث عن الخلود، فهذا دليل على أنها ارتبطت بالأسطورة ودونت التاريخ من أجل الوصول إلى الحقيقة، ونقل كل الأحداث التي واجهها الأبطال في المحيط الذي عاشوا فيه.

إن الأسطورة في العربية هي الأحدوثة،وجمعها أساطير وهي الأحاديث التي لا يسند لها من الحقيقة فهي الأباطيل،والأكاذيب ويبدو أنها تعرف كلمة **ISTORIA** الإغريقية،التي تعني رواية أحداث ماضية للتسلية،من غير تدقيق ولا توثيق،وربما كانت قد انتقلت إلى العربية عن طريق السريالية.ومن الأسطورة،أشتق فعل :"سطّر"،فيقال:سطّر علينا فلان إذ جاء بأحاديث تشبه الباطل وهو يسطر ما لا أصل له، أي يؤلفه. ومن الأسطورة **Myth** اشتق مصطلح معاصر وهو **Mythologer** ليدل على معنيين،أولهما العلم الذي يدرس الأساطير و يبحث فيها، والثاني مجموعة أساطير أمة ما،كالأساطير الإغريقية ،أو السومرية أو الفرعونية وليس في العربية مثل ذلك المصطلح. فيقال "الأساطير علم الأساطير" ، وقد ترجم " ميثولوجيا" (1).

أما التاريخ عند ابن خلدون فيعرفه بأنه فن أخلاقي تعليمي عن أخبار الماضين من الأمم السالفة بقوله « إن فن التاريخ فن غزير المذهب ، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم و الأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم و سياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدنيا و الدين»(2).

من خلال هذين التعريفين نجد أن كل من الأسطورة والتاريخ يدرسان حياة الأمم والحضارات الماضية والقديمة ومحاولة نقلها عبر العصور وتعريفها للأمم الحاضرة.

لقد قام الإنسان قديما بالبحث عن أسرار الكون و غوامضه وفك طلاسمه و ذلك بخلق أساطير جديدة من أجل الخلود.

---

(1):زياد محبك: (الأسطورة) مجلة الموقف الأدبي،إتحاد الكتاب العرب،ع 172،س:15،دمشق – سوريا،1985م .ص:38.

(2):حنان قرقوتي: من العلوم عند المسلمين ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 1، بيروت - لبنان، 1427هـ - 2006م . ص: 14 .

فكل المعتقدات التي لها صلة بالتقمّص أو الطقوس التي ترتبط بالميلاد الجديد في المجتمعات البدائية تفسّر إلحاح فكرة البحث عن الخلود على العقل البدائي. فبعض قبائل الهند تدفن موتاها في قبور على شكل الرحم، إنه العودة إلى رحم الأم، إلى الأرض من أجل حمل جديد ، وميلاد جديد، واستمرار حياة أو خلودها . وفي تلك الفكرة نفسها كمنت الجذور البعيدة للمحاولات الأولى في السيرة (1).

فمنذ خمسة آلاف سنة ترك المصريون القدماء ، وملوكهم على وجه الخصوص نقوشا ورموزا في مقابرهم، ليضمنوا مرورهم الآمن إلى عالم الخلود،وليس في ذلك بطبيعة الحال من باب السير و التراجم ،لأنهم لم يحاولوا في أغلب الأحيان وصف شخصياتهم وتدوين حياتهم الجارية ، ولكن هدفهم يدخل دون شك من أوسع أبواب السيرة لأنهم أرادوا أن يصونوا في الأرض وفي السماء مجد أفراد وأبطال لهم قداسَتَهم (2).

فالمصريون قديما كانوا يدفنون موتاهم ويضعون معهم الملابس والأكل، وحتى الجواري من أجل خدمتهم في الحياة الأخرى التي يعتقدون أنها موجودة،وخاصة الذين لهم شأن ومركز في ذلك الوقت مثل الملوك.

ومن بين الأساطير المصرية القديمة نجد مثلا أسطورة " إيزيس و أوزيريس" ففي السابع عشر من شهر هاتور(موعد الإحتفال بالبدر أو دفن أوزيريس)، حيث أقدم " ست " بقتل أخيه الملك " أوزيريس" لأنه هو الإله المهيمن على الزرع و بذرة الحياة في كل حي ، وقد كان أخاه " ست " يغار منه فصمّم على قتله فقتله. وتقول الروايات المصرية أن إيزيس زوجة أوزيريس جمعت أشلاء زوجها وقعدت مع أختها "بنفتيس" تندبان المقتول ، ورقّ الإله لبكاء الأختين الحزينتين ، فبعث لف جسده في الكتان على عادة المصريين في دفن موتاهم ، وروّحت "إيزيس" بجناحيها على الجسد الميت فعادت إليه الحياة ، و عاد الربيع فاحتفلوا بهذه العودة في أعياد شم النسيم ، و هكذا اعتقد المصريون أنه إذا أمكن أن يحيا أوزيريس، و يحيا النبات كله بعد موتها ، فان بمقدور الإنسان أن يعود إلى الحياة بعد موته.(3)

(1): ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وعن، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1970م. ص:19 .

(2): المرجع نفسه . ص:19 .

(3): أنظر المرجع نفسه .ص: 27-29.

و من الأساطير كذلك نجد أسطورة "أنجيدو" و أسطورة "أودن" و أسطورة "جزيرة إسلندا" و غيرها من الأساطير .

وهكذا الشأن في الأساطير العربية، مما يثبت تفكير الشعوب منذ نشأتها الأولى بل دوران هذا التفكير حول وسيلة تصل بها إلى هزيمة الموت في الصراع من أجل الخلود.

يقول الدكتور فؤاد حسن : « أساطيرنا بالرغم من تنوعها تدور حول فكرة واحدة و هي إمكان السمو بالإنسان و إبلاغه مرتبة الآلهة ، فيحيا الإنسان حياة الأدبية بعد أن كتب عليه الموت و حرم من نعمة الخلود . و لذلك كانت بطولة أساطيرنا و ملاحمنا غير قاصرة على الآلهة ، إذ شاركهم فيها نفر من بني البشر الذين بلغوا أو كادوا يبلغون مرتبة الآلهة » .(1)

فالبطل في الأسطورة يكون على شكل إله. و الأساطير العربية بالرغم من تنوعها فإنها تدور حول فكرة واحدة و هي سمو الإنسان ، و إبلاغه مرتبة الآلهه و لم تكن الأساطير العربية مقتصرة فقط على الآلهة ،إذ شاركهم فيها بعض البشر وذلك من خلال أعمالهم التي قاموا بها حتى بلغوا مرتبة الإله ، و من الأساطير العربية نجد أسطورة "ذو القرنين" و أسطورة "حي بن يقظان" لابن سينا و ابن طفيل و السهروردي ، و اليقظان رمز الإله و الحي هو العقل فحي بن يقظان قد نبت من تخمّر الطينة.

و تلتقي الأسطورة بالتاريخ حول سيرة البطل القديم ، إنه إلتقاء شكلي كما يبدو للنظرة الأولى ، لأن الأسطورة تجمع بالخيال و تضفي عنصر الخرافة و لها إطارها الفني الخالص ، بينما التاريخ يحارب الخرافة و يعتمد تسجيل الحقائق و تفسيرها . و الأسطورة بعد ذلك أقدم عمرا من التاريخ بالرغم من أننا لا نخطئ حين نقول أن النفوس البدائية التي حفظتها لنا كهوف الإنسان الأولى هي أول ما دون من تاريخ ، و لكن هذا الإلتقاء الشكلي لا يلبث أن يصبح إلتقاء موضوعيا يدور حول تسجيل حياة البطل و رصد حركته في بيئة معينة. (2) . فالإنسان هو صانع التاريخ فكل ما يقوم بتصميمه من رسومات و نقوش و كتابات في الكهوف قديما هي تاريخ في حد ذاته .

---

(1): ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ و فن . ص : 33 .

(2): المرجع نفسه. ص : 20 .

و هنا تحتل السير و التراجم في مدونة التاريخ مكانا مرموقا ، فإذا كان التاريخ يبحث وراء الحقيقة، و يمحصها و يجلو غموضها في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية ، فإن السيرة تبحث عن الحقيقة في حياة الإنسان و تكشف عن مواهبه و أسرار عبقريته من ظروف حياته و الأحداث التي واجهها في محيطه و الأثر الذي خلّفته . (1)

و في أحضان التاريخ نشأت السيرة و ترعرعت بمفهومات الناس على مرّ العصور و تشكلت بحسب تلك المفهومات ، فكانت تسجيلات للأعمال و الأحداث و الحروب المتصلة بالملوك عند الصينيين و المصريين و الآشوريين ، و كانت تفسيرا لبعض المبادئ السياسية عند "فلوطارخس" في كتابه عن عظماء اليونان و الرومان(2). فهي أخذت من التاريخ حياة أشخاص عاشوا في حقبة معينة ، و دونتها ، و هناك من يرى أن السيرة ليست جزء من التاريخ ، لأنها إذا ارتبطت به فقدت قاعدتها الصحيحة، و هذا ما نتجلاه عند "كولنجوود"(3)، الذي اعتبر السيرة كذالك فحدود السيرة هي الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص و موته ،من طفولة و نضج و أمراض و غيرها، فهي صورة للوجود الحيواني و قد يرتبط بها كثير من العواطف الإنسانية ، و لكن هذا ليس تاريخا .

و إلى مثل هذا يذهب " توينبي" أيضا فهو يخرج من دائرة التاريخ ما يتصل بالسير الذاتية كاعترافات القديس "أوغوسطس" و " روسو" أو حياة الملكة " فكتوريا " لستراتشي الذي يقول : « إن هذه الكتب تشتبك بالتاريخ لأنها تدور حول أناس لهم قيمتهم في الحياة الاجتماعية » . و في النظرة الحديثة ، كانت السيرة من ناحية علمية تاريخا في نشأتها و غايتها ، و إننا إذا أردنا أن نقيسها بمقياس جديد نستطيع أن نقول : " كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع ، و تعرض أعماله متصلة بالأحاديث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها فإن السيرة – في هذا الوضع – تحقق غاية تاريخية ، و كلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد ، و تفصله عن مجتمعه ، و جعله الحقيقة الوحيدة الكبرى ، و تنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة فان صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة ".(4)

---

(1): ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ و فن . ص:21.
(2): إحسان عباس : فن السيرة ،دار الشروق و التوزيع ،ط1 ، 1996. ص:09.
(3): المرجع نفسه .ص:11.
(4): المرجع نفسه . ص:12.

ابتعدت السيرة عن هذا الأصل التاريخي ، حين أصبحت غايتها خلقية تعليمية ،وذلك عند ارتباطها برجال الدين مثل القديس أوغسطيس و روسو التي كانت تدعو إلى الغاية الخلقية .

لكن لم تكن الغاية معدومة في نشأة التاريخ و سير المسلمين، فالقرآن الكريم هو الذي عمق الإحساس بالتاريخ عند العرب. و قد بدأوا بكتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و كانت غايتهم أخلاقية و كذلك من أجل تعريف الأمم على خير البشر و الاقتداء به .

وقد ظلت السيرة التاريخية حتى العصر الحديث أقوى أنواع السير عندا المسلمين و هي تجمع أحيانا بين الغاية الخلقية وغاية المتعة التي تحققها السير الأدبية، و لكنها قد تكون منبعثة عن مجرد الرغبة في التاريخ ، أي تكون غاية في نفسها ، لأن المؤرخين المسلمين كانوا يرون السير جزء من التاريخ بل يرون أن التاريخ ليس إلا سير للحاكمين .(1)

و من هذا كله تدخل الأسطورة و يدخل التاريخ في تكوين و بناء السيرة. فلكل منهما دور كبير ، و ذلك من خلال تدوين ما جرى قديما من أساطير و أحداث ، فالإنسانية حاولت تخليد أبطالها عن طريق تسجيل أعمالهم و كتابة تاريخ حياتهم من أجل خلق هذه الشخصيات من جديد و إبقائها على مرّ العصور مثل: سيرة حي بن يقظان ، الظاهر بيبرس ، عنتر بن شداد ، الزير سالم و غيرها كلها جمعت و وضعت في قالب فنّي و في ثوب أدبي جميل .

(1): إحسان عباس: فن السيرة.ص:33.

ثانيا : فن السيرة في الأدب الغربي:

تعد السيرة من أحد الفنون الأدبية ، إذ تعود جذورها إلى القرن الثامن عشر و هو عصر النهضة ، و أن الباحثين الذين اهتموا بتاريخ السيرة ، يؤكدون على أن أقدم ما كتب في السيرة كان على يد شخصين يونانيين هما بنوفراستوس (372 – 288 ق.م) و بلوتارك (122 – 48 ق . م) غير أنهما اهتما بالأنماط العامة أكثر من اهتمامهما بالصفة الشخصية ، و قد ظهرت السيرة في الأدب الانجليزي بداية من عام 1579م و كان أول السير موقوفا على حياة القديسين، و كانت هذه السير تتناول الأتقياء في صورة من الوقار .

و كان غرض هذه السير إظهار معجزاتهم، و الأعمال الجملية في حياة هؤلاء. و من هذه السير ما كتبه ألفرك Alifric من سيرة (أنوالد) و القديس (أدمون) و كانت هذه الكتابات هي بداية الكتابة الجادة في فن السير و التراجم في الأدب الإنجليزي . (1)

و أسوأ المراحل في تاريخ السيرة الغربية يوم تسلمها رجال الدين في العصور الوسطى (2) وفي هذه المرحلة اتجهت للناحية الخلقية و سخروها لغاية دينية وهذا ما أدى بالسيرة إلى الضعف لأن أساس السيرة الإنسان و ذهنه و شخصيته .

ويستطيع المرءُ أن يرى روح عصر النهضة بعدَ ذلك في تراجم و سير القرن السادس عشر مثلما يتضح ذلك في « تاريخ المالك ريتشارد الثالث » الذي ألفه توماس مور.

و الواقع أن ايزاك والتون في القرن السابع عشر ، كان أشبه بقنطرة بين الصياغة القديمة و الفن الحديث في التراجم و السير ، فقد احتضن اهتمام العصور الوسطى بالأخلاقيات ، واهتمام المحدثين بالفن و الأمانة و عرض الشخصية و عندما مات 1683م، و لد عصر جديد في هذا اللون الأدبي .

---

(1): شعبان عبد الحكيم: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، ط1، 2008م. ص : 32.

(2): إحسان عباس: فن السيرة. ص : 32 .

كانت النظريات القديمة و نظريات العصور الوسطى عن النظام الإجتماعي و الديني الثابت ، الذي كان الفرد فيه شيئا ثانويا ، قد تغيرت تماما تحت تأثير المذهب الفردي الإستبطاني الذي تطور بعد ذلك على يد الرومانتيكيين ومن تفاعل التصور القديم والتصور الجديد،برزت التراجم والسير في القرن الثامن عشر بحيويتها و تنوّعها. (1)

ولم تتميز السيرة بوضوح في أدب كما تميز ت في الأدب الإنجليزي ،وربما لم تصل في غير هذا الأدب ما وصلته من درجة فنية وكل هذا يشير إلى أن السيرة في شكلها الأدبي ،لا تزال حديثة النشأة وأبعد نماذجها يرجع إلى القرن الثامن عشر (2) في هذا القرن وقت الحروب بين الثورة الإنجليزية و الثورة الفرنسية و فيه تحسّن حال الطبقة الوسطى ، و قام مناضلون بمبادئ جديدة ، و أصبح هناك جمهور يحب قراءة هذا النوع من الأدب ، و أخد حب الإستطلاع يدفع المرء إلى أن يعرف أحوال جاره ، و معرفة تاريخ الأبطال القدماء ، و هذا ما أدى إلى تطور السيرة عبر العصور .

و هذا العصر هو عصر الدكتور جونسون و رفيقه بزويل و كلاهما قد أدا للفن يدا لا تنكر فقد حاول جونسون أن يحقق الصدق و الصراحة في كتابة السيرة ،وهذا ما حاوله بزويل. (3)

و نجد من البارزين في فن السيرة"ستراتشي" وهو من أكبر كتّاب السيرة في الأدب العالمي،وكذلك "فرجينيا وولف "في سيرتها عن صديقها «روجر فلاي» و سير « ستيفان اتسفايج» وقد نشر ثلاث مجموعات من السيرة في الأولى ترجمة «كليست و هيلدرن و نيتشه» و ترجم في الثانية وعنوانها «أساتذة ثلاث» " لدكنز وبلزاك " و "تولستوي"،وفي الثالثة « بناء العالم» ترجم لتوستوي و كازانوفا و استندال .

---

(1): ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ و فن. ص : 06 .

(2): إحسان عباس: فن السيرة. ص : 38 .

(3): المرجع السابق. ص: 07.

كذلك من أشهر السير في الأدب الإنجليزي في القرن العشرين ترجمة "وليم بتلر ييتس" yeats (ت 1938)،و "جورج مور" الذي كتب ثلاث ترجمات (اعترافات شاب- مذكرات حياتي المنسية – سلاما و وداعا). وفي الأدب الفرنسي اعترافات "روسو" و كتاب صديقي لأناتول فرانس، ويوميات "أندريه جيد" .و يوميات "جابريل مارسيل".

وفي الأدب الألماني رسائل جوته الشعر والحقيقة لجوته. وثلاث تراجم لكارل ياسبر (حول فلسفتي عام 1914)، وفي الأدب الروسي اعترافات تولوستوي و يوميات ماري بشكيرتسيف .

مما سبق نستنتج أن الكتابة في فن السيرة قد كثرت وازدهرت، وهذا إن دل على شيء إنّما يدل على أنّ هذا الفن قد لاقى إقبالا واهتماما كبيرا من قبل القارئ الذي أصبح على دراية بأنّ هذا الفن له أهمية كبيرة. فلعلّه يزيد من ثقافته و معلوماته بالشخصيات المشهورة التي لربما لم تكن له معلومات سابقة عنها.

ثالثا: فن السيرة في الأدب العربي :

إن كان الشعر ديوان العرب فان التراجم و السير ديوان المسلمين، فالأدب العربي فيما قبل العصر الحديث يحتوي على تراجم لمئات الآلاف من المسلمين (أحيانا غير المسلمين) من الجنود و العلماء إلى العشاق و المجانين.(1) و قد كان معظم السير في العالم الإسلامي مجموعة من الأخبار المأثورة أو المشاهدات ليس فيها وحدة البناء و الإحساس بالتطور الزمني ولا تتبع مراحل النمو والتغيير في الشخصية و ظلت دون شكل تام ودون محتوى كامل حتى العصر الحديث، حيث واجهت بعض التغيير وكان ذلك بتأثير من الثقافة الغربية.وفي هذا الصدد نجد موسى سلامة في كتابه « هؤلاء علموني » إلى ربط السيرة بقائمة من مشاهير الأعلام الغربيين فقال :« وقد تأثرت بهؤلاء الكتاب الذين ذكرتهم في هذا الكتاب وأحببتهم و أعظمتهم ووجدت فيهم النور والتوجيه» (2) ،كذلك نجد تأثر العرب بالسيرة الذاتية اليونانية وخاصة ما كتبه « جالينوس» عن حياته (3).

فكما أخدت السيرة العربية من الثقافة الغربية فإننا نجد أن الأدب الغربي قد استعان بالثقافة العربية ،فنجد دائرة المعارف الإسلامية تقول :« إن سيرة عنترة عرفت في الغرب سنة 1777م،ولكنها لم تنتشر انتشارا واسعا إلا في منتصف القرن التاسع عشر ،وكان الكاتب الناقد «تين» يضع عنترة في صف أكابر الأبطال الذين صنعوا أعظم الملاحم الروائية كأوليس ورولان و سعفريد ورسم » (4).

فالعرب عرفوا فن السيرة منذ القرن الأول الهجري إلى يومنا هذا يسجّلون فيه الأعلام والنابهين في كل علم و فن ، وأول ما عرفوه عن السير ه ي السيرة النبوية ،التي تناولت سيرته (صلى الله عليه وسلم) . فقد شملت تاريخا لأفعاله، و أقواله، و مغازيه حيث يقول الدكتور عبد الرزاق الموافي في كتابه (القصة العربية .....عصر الإبداع): « أن العرب كانت تنظر إلى

---

(1): مايكل كوبرسون : فن السيرة في العربية عصر المأمون ، ترجمة محمود محمد مكي ،دار النشر المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة ،ط1،2005م.ص:19.

(2) : جليلة الطريطر : مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات) ،مركز النشر الجامعي مؤسسة سعيدان للنشر ، د.ط ، 2004 م. ج1،ج2 .ص:81.

(3): ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ وفن. ص05.

(4): مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العالمي: القصة والرواية ،السيرة،منشأة المعارف جلال حزي وشركاؤه، د.ط.د،ت.ص: 180.

السيرة النبوية نظرة أقرب إلى التقديس فلم يجرؤ أحد على سرد سيرته الذاتية حتى لا يتهم بمجاراة السيرة النبوية ،فلما استقر نص السيرة النبوية شرع النابهون على سرد سيرتهم الذاتية ،ولعلّ رحلة الإمام الشافعي أول سيرة ذاتية عربية يصل إلينا نصا » (1) ومن بين الذين كتبوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم عبد المالك بن هشام في سيرته المسماة " سيرة الرسول " ،ابن سعد (ت 230ه) في سيرته" الطبقات الكبرى" ،وسيرة ابن عيسى الترميذي " الشمائل" .

وعلى الرغم من انطلاق الكتاب في تحرير هذا الفن و تحبيره انطلاقة دينية عقيدية،عنيت في بداية التدوين بتسجيل سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلم باعتبارها الأسوة الحسنة والتشريع الأمثل للمسلمين وتطوّرت فيما بعد لتسجل عظماء الأمة،فإن الفن إتسع إتساعا كبيرا مع تطاول الزمان ،ومع امتداد الحضارة الإسلامية وانبساط أفاقها ،فتتنامى ليشمل الشخصيات الفاعلة والمؤثرة في شتى الميادين، ولا غرابة في أن تتأكد العناية بالكتابة في هذا الفن النثري ،ويزدهر التأليف فيه في المشرق و المغرب بالمقدار الذي امتلأت به القماطر والخزائن ،وتراكمت الآثار والأعمال في مختلف عصور الحضارة الإسلامية ،إلى أن غدت هذه الأمة في طليعة الأمم التي اهتمت اهتماما واضحا بتخليد النابهين والمبرزين في تاريخها بكتابة تراجمهم و سيرهم. (2)

---

(1). http: www. Diwanalarab.com/spin.php 14819-22 k similar papes

(2): محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين و الخصائص الأسلوبية) ، دار المدار الإسلامي ، ط1،ج1، 2004 م .ص : 269 .

وقد كان أكثر كتّاب السيرة الأولين من أهل المدينة لأن أكثر أحداث السيرة من تشريع مدني ومغازي النبي صلّى الله عليه وسلّم (1)، و من الكتب الأولى للسيرة ، سيرة ابن هشام ، و سيرة ابن سعد .

و من أبرز المحاولات ذات الطابع السيري "حياة الرافعي" للعريان ، و "العبقريات" للعقاد "سيرة ابن طولون" لصاحبها أحمد يوسف بن الداية (القرن الثالث هجري) ، و سيرة "السلطان محمود الغزنوني" و اسمها اليميني للمؤلف أبو النصر العتبي (القرن الخامس هجري) و سيرة "منصور الأندلس" لعلي أدهم، و سيرة " جبران" لميخائيل نعيمة و غيرها من السير.

فالأدب العربي أصبح زاخرا بهذا النوع من الأدب و السبب في ذلك راجع إلى القراء الذين يتلهفون إلى معرفة تاريخ الشخصيات المهمة في عصرهم أو في العصور التي سبقتهم.

(1): أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ، ط 10 ، بيروت – لبنان ، د. ت ، ج2 . ص : 338.

الفصل الأول

مفاهيم فن السيرة وعلاقاتها بالفنون الأخرى.

المبحث الأول

مفاهيم فن السيرة وأنواعه.

-مفهومـــــــــــــــها.

-أنواعـــــــــــــــها.

-خصائصـــــــــــــــها.

المبحث الثاني

كتابة السيرة وعلاقتها بالفنون الأخرى.

-كتابة السيرة.

-علاقتها بالفنون الأخرى.

الفصل الأول: مفاهيم فن السيرة وعلاقاته بالفنون الأخرى.

المبحث الأول: مفاهيم فن السيرة وأنواعه.

اختلفت الأجناس الأدبية باختلاف الأسباب التي دفعت إلى ظهورها، ومن بين هذه الأجناس الأدبية "فن السيرة" التي لها جذور ضاربة في أعماق تراثنا العربي، ولهذا اهتم الباحثون واللغويون بمحاولة ضبط مفهومها من الناحية اللغوية و الاصطلاحية، حيث تعددت التعريفات واختلفت باختلاف وجهات نظر الباحثين واللغويين.

فمن الناحية اللغوية تعرف السيرة عند ابن منظور:« السيرة: السنة والسيرة الطريقة يُقال: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة.».(1)

وفي المعجم العربي الأساسي: «سار، يسير: مشى، وسار سيرة حسنة:سلك سلوكا حسنا.».(2)

أما في قاموس المحيط:«السيرة:السنة والطريقة والهيئة والميزة.».(3)

والسيرة اصطلاحا: «نمط سردي حكائي ينظم في فضاء زمكاني محدد، يتولى فيها الراوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعية في مجال حيوي أو معرفي، فيها من العمق والغنى ما يستحق أن يُروى ليقدِّم تجربة يمكن أن تثري القارئ وتخصّب معرفته بالحياة من خلال الإطلاع عليها والإفادة منها، وطراء الحياة المرشحة لترجمة سيرتها وتفرّدها ليس كافيا لإنتاج سيرة يمكن أن تنضم بجدارة إلى ميدان هذا الفن السردي إذ لابد للكاتب الذي يتولى المهمة أن يتمتع بقابليات سرد فنية عالية تؤهله لإنجاز عمل فني سردي تتمثل فيه عناصر السرد الرئيسية وشروطه التعبيرية و الأسلوبية.». (4)

---

(1): ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م، المجلد7.ص :317.

(2): المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، د.ط ،د.ت.ص :251.

(3): الفيروز أبادي أبي طاهر محي الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيرازي: قاموس المحيط ، بيت الأفكار الدولية، ط4، بيروت - لبنان،2004م.ص :870.

(4): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية .قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية،عالم الكتب الحديث ، ط1، 1467هـ-2007م . ص :109.

وهي أيضا في هذا التعريف نجدها عبارة عن سرد حكائي، يقوم على تصوير حياة شخص ما، وإعادة الماضي، وبعث الحياة والحركة والحرارة في تصوير الأحداث والتجارب الشخصية، من أجل إثراء القارئ بها والإفادة منها.

وهي أيضا:«نوع من الأنواع الأدبية التي تتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفا يطول أو يقصر أو يتعمق ، أو يبدو على السطح تبعا لثقافة كاتب الترجمة ومدى قدرته على رسم صورة واحدة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له».(1)

كما أنها :«نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي،ويراد به درس حياة فرد من الأفراد، ورسم صورة دقيقة لشخصية».(2)

فهي جنس أدبي يستمد مادته من الواقع المعاش، ومن التاريخ ليعبر عنها بصورة فنية تعطيها أبعادا تقنية وفنية يصبغها عليها الأديب من خلال تجاربه ومقدرته الإبداعية.

وليس فن السيرة من مبتكرات عصرنا الحاضر،بل هو عريق في القدم عرفه العرب منذ صدر الإسلام وأقبلوا عليه أيما إقبال،فكان لنا منه على توالي الأجيال عدد وافر من المؤلفات يملأ بعضها مجلدات كبيرة،ومنها العام أي الذي يتناول أشخاص كثيرين ككتاب الطبقات لابن سعد (220ه)، وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (256ه)،ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (626ه)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (681ه) وأمثالها.

ومنها الخاص كالسيرة النبوية لإبن هشام نقلا عن ابن إسحاق (156ه)، والأنصاف والتحري لابن العديم (660ه)، والصبح المني للبديعي (1073ه) وما جرى مجراها مما يدور على شخص واحد. فالعام لفظة كتب التراجم والخاص كتب السيرة.

وقد استخدم العرب كلمة سيرة وكلمة ترجمة بمعنى واحد وإن كانت السيرة هي الأسبق في الاستخدام، وقد عرف العرب فن السيرة، وأول ما عرفوه عن السيرة النبوية، فقد تناولت سيرته "صلى الله عليه وسلم" التاريخ لأفعاله وأقواله ومغازيه وقد ظلت السيرة عصورا يقتصر

(1):محفوظ كحوال : الأجناس الأدبية النثرية و الشعرية ، دار نوميديا للنشر و التوزيع ، د. ط،2007م.ص: 75.

(2): أنيس المقدسي : الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ،دار العلم للملايين، ط.5، بيروت - لبنان، 1990م. ص:547.

استعمالها على بيان حال الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تطور الاستعمال في عصور تالية فاستعملت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة بدليل ما يذكره صاحب كشف الظنون من ظهور سير كثيرة من القرن الرابع الهجري، كسيرة أحمد ابن طولون"لابن الداية"(ت334 ه) و سيرة صلاح الدين لابن شداد(ت622ه).أما كلمة ترجمة فقد دخلت العربية عن اللغة الآرمية ولم تستخدم في القرن السابع الهجري، وعلى مرّ العصور نرى كلمة ترجمة يجرى الاصطلاح على إستعمالها لتدل على تاريخ الحياة الموجزة للفرد، وكلمة سيرة يصطلح على استعمالها لتدل على التاريخ المسهب للحياة.(1)

وكذلك هناك فروق أخرى بين السيرة التاريخية والترجمة الأدبية وإن كانت المادة الخام بينهما واحدة. فالسيرة تعنى بسرد الحوادث والوقائع وتحترم النص ولا تغيره وإن كانت تناقشه، كما لا تستطيع أن تكمل الحلقات الناقصة في تاريخ إنسان عظيم إذا ما أهملها الرواة وأهل الأخبار. أما الترجمة الأدبية فهي تتطلب من الأديب أن يصهر تاريخ الإنسان الذي يترجم له في نفسه، ويقدم لنا تجربة نفسية متصلة الحلقات وإن كانت غير كاملة في الواقع بالإضافة إلى اعتمادها على الأسلوب الأدبي الذي تتطلبه كل الأعمال الفنية في الأدب. ومن المفيد هنا أن نذكر رأي بودلير الذي يوضح هذه الحقيقة فهو يرى:«إن العبقرية الأدبية عبقرية مدركة واعية تعتمد على العقل كما تعتمد العبقرية العلمية تماما، غير أنها تمتاز على الطريقة العبقرية العلمية بأنها قادرة على اكتشاف العلاقات بين المشاعر والأشياء وبعضها في نطاق أشمل وأوسع من النطاق، الذي تعمل فيه العبقرية العلمية.».(2)

فالسيرة أشمل من الترجمة فهي تتطرق لحياة شخص أو مجموعة من الأشخاص من جميع النواحي بشكل موسع، أمّا الترجمة فهي تتطرق لحياة فرد من الأفراد، أو جماعة بطريقة موجزة ومصغّرة.

---

(1): شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية .ص:26.

(2): طه ودي : هيكل رائد الرواية السيرة و التراث،دار النشر للجامعات ، ط2، القاهرة،1417ه – 1996م .ص : 138.

أنواع فن السيرة :

بقدر ما تنوعت السيرة في تعاريفها ، تنوعت في أقسامها فهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: السيرة الذاتية و السيرة الغيرية (السيرة الموضوعية).

أولا السيرة الذاتية:

يعرفها الدكتور يحيى إبراهيم عبد الدايم بقوله:« الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة و الإتساق في البناء والروح..... وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوا وافيا كافيا عن تاريخه الشخصي على نحو موجز، حافل بالتجارب والخبرات المنوعة الخصبة، وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، وحسن التقسيم وعذوبة العبارات وحلاوة النص الأدبي.».(1)

ويعرفها محمد عبد الغني حسن بقوله:«التراجم هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول للتعريف بحياة رجل..... تعريف يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة المترجم - أي صاحب الترجمة – ومدى قدرته على رسم صورة كلية واضحة.....ودقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه .».(2)

وعند الدكتور محمد يوسف نجم: «هذا النوع يقوم على وحدة الحياة لا وحدة الحادثة أو وحدة العمل القصصي، أو وحدة التأثير.».(3)

---

(1): يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،د.ط، بيروت،د .ت . ص: 10.

(2): محمد عبد الغني حسن : التراجم و السير ،دار المعارف،د.ط،1969.ص :09.

(3): شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث.رؤية نقدية . ص:11.

وفي دائرة المعارف البريطانية السيرة الذاتية هي :«المؤلف (الروائي) الذي يسجل بصورة واعية وبصيغة فنية الحدث، ويعيد للحياة –الدرامية- ،لأن موضوعها الحياة، وفرع من الأدب يحتوي على تقرير عن حياة أشخاص، وهي صيغة أدبية قديمة.». (1)

ويعرفها فيليب لوجون بقوله:«سرد استعاري نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصه.»(2)، ويعرّفها فايبرو بأنها:«عمل أدبي وبأن هذا العمل قد يكون رواية، أو قصيدة، أو مقالة فلسفية يعرض فيه المؤلف أفكاره، أو يصور إحساسه بشكل ضمني أو صريح.».(3)

كل هذه التعريفات تتلاقى وتتجاوز ولا تتعارض، لتجتمع على أن السيرة الذاتية، عمل أدبي من تأليف صاحب السيرة ، يعرض لسيرة حياته في إطار عصره ربما يطول وربما يقصر، وهذه الصيغة موجودة منذ القديم فقد حاول بعض القدماء كتابة سيرة أنفسهم فجاء بعضها أشبه بالتاريخ كما هو في كتاب الإعتبار لأسامة بن منقض وكتاب ابن خلدون الذي تحدث فيه عن نسبه ونشأته ومشيخته ومن خدمهم وعن رحلاته. ويطلق على هذا في اللغات الغربية Autobiography

أ)- أنواع السيرة الذاتية:

وتنقسم السيرة الذاتية بدورها إلى عدة أنواع:

1)- السيرة الذاتية الشعرية:

سرد نثري يتولى فيه الشاعر تدوين سيرته الشعرية فقط ،لا يخرج فيها إلى تناول جوانب أخرى غير شعرية من سيرته إلاّ على النحو الذي له صلة ما يدعِّم قضيته الشعرية في السيرة. وتكتب هذه السيرة عادة في مرحلة يتوجب أن تكون ناضجة من مراحل التطوّر الحيوي والشعري للشاعر (4).

---

(1): شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية . ص: 10 .

(2): المرجع نفسه.ص:10-11.

(3): المرجع نفسه .ص: 11.

(4): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة . ص:110 .

في هذا النوع من السيرة يتحدث الشاعر عن محطات غنية وخصبة في تجربته الشعرية يعطي صورة عن تاريخ شعره وجغرافيته وموقعه وشهرته في الوسط الشعري. ومنهم من يتحدث عن مرحلة معينة من مراحل السيرة يعتقد بأهميتها، ومنهم من يكتفي بالحديث عن قصائد معينة. وتتنوع التسميات التي يطلقها الشعراء على هذا النوع من السيرة،فمنهم من يسميها «تجربتي الشعرية » ومنهم من يسميها «قصتي مع الشعر» أو «حياتي في الشعر».

2)- السيرة الذاتية القصصية:

سرد نثري يعتمد فيه القاص إلى تسجيل سيرة ذاتية خاصة بتجربته القصصية ،في مرحلة يعتقد أنه وصل فيها إلى درجة معقولة من النضج والشهرة، وتأخذه هذه السيرة بحسب رؤية القاص أشكال متعددة في انتخابه للأزمنة والأمكنة والأحداث التي أسهمت في تكريسه قاصًّا ، وفتحت له بوّابة الفن القصصي.(1)

ويمكن أن تتناول السيرة الذاتية القصصية مرحلة قصصية معينة يعتقد القاص بأهميتها وجوهريتها في تجربته وربما يحيط بمجمل تجربته القصصية ملمًّا بالمرجعيات المؤسسة والقضايا والمواقف مرورًا إلى إبراز مكانته في المشهد القصصي العام .

وللقاص الحرية في اختيار الأسلوب الحكائي المناسب لرؤية سيرته الذاتية القصصية لأنه معني بذلك مرّتين ، مرّة لأنّه حكواتي أصلا،ومرّة لأنّه يروي سيرة حياة قصصية مناسبة للحكي والقص، لذا فإن الإهتمام بلغة السير الذاتية القصصية والعناية بشعريتها بالقدر المعين المكافئ للنوع والموضوع وضروراته،من شأنه أن ينجح في إنجاز نص إبداعي لا يقل شأنا عن المنجز القصصي.(2)

---

(1): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة .ص:111.

(2): المرجع نفسه . ص: 111.

إنّ القاص في السيرة الذاتية القصصية له الحرية المطلقة في كيفية كتابة سيرته القصصية ابتداء بالأسلوب الحكائي المناسب، مرورا إلى العناية باللّغة السيرذاتية القصصية أي أن يجد الألفاظ والعبارات المناسبة أو ذات الجانب القصصي التي تجعل النص القصصي ناجحًا.

3)- السيرة الذاتية الروائية:

سرد نثري ذاتي يتوجه فيه الراوي إلى تقويم سيري لتجربته الروائية،يشتمل على نقل حكايته مع الرواية والكتابة الروائية إلى القارئ ولا يتحقق ذلك بطبيعة الحال إلاّ على يد روائي له حضور مؤثر ولافت في ميدان الإبداع الروائي ، وله تجربة فيها من الثراء والخصوصية والسعة ما يؤكد إنطواءها على خبرة وعمق وأصالة تدفع القارئ إلى البحث عنها وتشجعه على ارتيادها والإفادة منها.(1)

وطالما أنها تمثل فرصة لتحدي إبداعي جديد أمام الروائي فإنه يعمد إلى العناية البالغة لإنجاز نص سير ذاتي من أجل أن يضمّه إلى أعماله الروائية ويقتصر الروائي في سيرته على دراسة مرحلة معينة من مراحل تجربته الروائية.

4)- السيرة الذاتية النقدية :

سرد نثري سير ذاتي يعتزم فيه الناقد عرض نظريته ورؤيته و منهجه وفكره النقدي عرضا تاريخيا تكوينيا ، يشتمل على بداياته النقدية وصلته المتطوّرة بمفهوم النقد ودرجة حساسيته بالنسبة إلى شخصيته، فضلاً عن إبراز السمات الشخصية والحيوية قدر تعلق الأمر بالمفهوم النقدي ووظيفته الإنسانية والفكرية.

ويجري التركيز في السيرة الذاتية النقدية على الجوانب العلمية والفكرية والثقافية والشخصية ذات الصلة بجوهر العملية النقدية وخلفياتها وظلالها،ويتوجب على الناقد الذي يسعى إلى تقديم سيرته الذاتية في هذا الإطار،أن يعي خطورة هذه الكتابة ونوعيتها،على النحو الذي يسخر لها أسلوبية كتابية خاصّة تتمتع بالنفس الحكائي والرشاقة اللغوية والإنسانية التعبيرية الجمالية وأن لا تقع تحت وطأة الكثافة التعبيرية العالية التي تتسم بها كتابته النقدية.(2)

---

(1): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة . ص:112.

(2): المرجع نفسه. ص:113.

ففي السيرة الذاتية النقدية يقوم الناقد بعرض نظريته وأفكاره ومنهجه النقدي والإحاطة بكل الجوانب المتعلقة بحياته الشخصية ذات الإتصال بالعمل النقدي،ومدى قبول نفسه وتوافق شخصيته مع هذا العمل النقدي هل يجد متعة في ذلك ،وما هي أهم المواقف والأحداث التي جرت في حياته،ولكن دون الخروج عن نطاق حياته النقدية،بأسلوب خاص خال من التكلّف يتمتع بنفس حكائي لغوي فصيح ورشيق،وأسلوب تعبيري جميل يجدب من خلاله القارئ ويحافظ على استمرارية القراءة ومتابعته للأحداث،وأن لا يشعره بأنه أمام نص نقدي تتضارب وتتجاذب فيه الأفكار والأحداث لأن النص السير ذاتي النقدي نص مختلف عن النص النقدي -شكلا ووظيفة- فضلاً عن مهمته في الكشف عن رؤية الناقد ومنهجه وفكره وأسلوبه.

من خلال ما تطرّقنا إليه لاحظنا أن السيرة الذاتية متنوعة فقد كثرت مجالات كتابتها وهذا إن دلَّ على شيء إنّما يدل على أن مجال السيرة الذاتية رحبٌ وواسع،فقد لاقت اهتمامًا كبيرا من طرف الشعراء والروّاة والنقاد والقصاصين،وذلك من خلال كتابة سير في مجال عملهم فمنهم من يكتب سيرته الذاتية الشعرية،ومنهم من يكتب سيرته الذاتية القصصية،وآخر يكتب سيرته الذاتية الروائية،وآخر يكتب سيرته الذاتية النقدية فلكل واحد من هؤلاء تخصصه وميوله الأدبي ،ولكل واحد طريقته وأسلوبه في التعبير فإن اعتمد أسلوبا فصيحا رشيقا،وتعبيرًا جميلا خال من التكلف لاقت سيرته ترحيبًا لدى القارئ ورواجًا في الساحة الأدبية ونظر إليه بمنظار الكاتب الناجح.

ب)- أسباب كتابة السيرة الذاتية:

إنّ كاتب السيرة الذاتية يهدف من وراء كتابة سيرته إلى إثبات الذات وتمجيد تاريخ نضاله في الحياة،أو تنفيسا عن ثورة عارمة انتابته، أو حالة نفسية طارئة،أو مبدأ من المبادئ وقضية من القضايا التي تنبع من ظروف وحياة صاحب السيرة الخاصة.وغيرها من الأهداف نذكر فيما يلي:

***/ التبريرية :**

وهي التي يدافع فيها أصحابها، أو يعتذرون فيها عن أفعال قاموا بها، لم يفهمها العامّة من الشعب، كما فعل ابن خلدون في التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا.(1)

(1): شعبان عبد الحكيم محمد: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص: 26.

***/ الرغبة في إتخاذ موقف ذاتي من الحياة:**

وأصدق الأمثلة لهذا النوع من السير التي صوّرت مذهبًا خاصًا أو سلوكا بعينه لصاحبه مثل النصائح الدينية للحارث المحاسبي،و المنقد من الضلال للغزالي،وسيرة ابن الهيثم التي احتفظ بها ابن أبي اصبعة في كتاب(عيون الأنباء في طبقات الأطباء).(1)

***/التحقق من ثورة أو انفعال:**

وأوضح مثال لذلك ما ورد في سيرة أبي حيّان التي سجّلها قي الإمتاع والمؤانسة- وفي رسالة الصداقة والصديق فقد أفصح عن ثورة نفسية على بيئته ومجتمعه.

***/تصوير الحياة المثالية:**

وهي السير التي كتبت عن حياة صاحبها كي يجتذبها الناس لما تمثله من خبرات روحية وخلقية وفكرية مثلما فعل عبد الرحمان ابن الجوزي في كتابه (لفتة الكبد في نصيحة الولد) وعبد الوهّاب الشعراني في (لطائف المنن).

***/تصوير الحياة الفكرية:**

وهذا النوع الذي يعتمد فيه الكاتب إلى تسجيل كل ما أثّر في تكوينه العقلي وتطوره الفكري(من كتب وأساتذة) كما فعل البيروني وابن الهيثم والرازي والسخّاوي، وابن طولون(في الفلك المشحون في أحوال ابن طولون).

***/الرغبة في استرجاع الذكريات:**

ومن أمثلتها في الأدب الغربي (مذكرات ميرابو و مذكرات كازانوفا) وفي الأدب العربي القديم كتاب الإعتبار لأسامة بن منقد الذي قام فيه تصويرًا حيا لشخصية الفارس الجسور،وكتاب(طوق الحمامة في الألفة و الألاف) لابن حزم الذي يعرض فيه لذكريات شبابه.(2)

---

1): شعبان عبد الحكيم محمد:السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص:26.

(2): المرجع نفسه. ص:27.

***/الصنف الإخباري:**

وهو الذي يعنى بتجارب الشخص كسيرة الجاحظ وأبي حيان والصفدي والصولي والصابي وغيرهم حيث يتحدثون عن أنفسهم.

***/الصنف الذي يقص المغامرات:**

وهي تعني بتجارب صاحب السيرة في الحياة المليئة بالمغامرات والتجارب كما فعل أسامة بن منقد في كتب الإعتبار.(1)

إذا من خلال كل هذا نستنتج أن لكل سيرة ذاتية هدف وغاية بعضها تذكر من طرف صاحبها والبعض الآخر يفضل صاحبها عدم ذكرها بل تترك القارئ يستشفها استشفافا وراء الأحداث والمواقف فكل ما ذكرناه سابقا قد تكون رغبة في الترفيه عن النفس والتخفيف من ثورة أو انفعال،ورغبة في استرجاع الذكريات إلى آخر ذلك من الأهداف والغايات.

---

(1): فواز الشعار: الأدب العربي، دار الجيل، د.ط، بيروت، د.ت.ص:178.

ج)- بعض المؤلفات في السيرة الذاتية :

1- سبعون لـ: ميخائيل نعيمة.

2- حياتي لـ: أحمد أمين.

3- الأيام لـ: طه حسين.

4- أنا لـ: العقاد.

5- عينان على الطريق لـ: عبد الله الطوخي.

6- تخليص الإبريز في تلخيص باريز لـ: رفاعة الطهطاوي.

7- الساق على الساق لـ: أحمد شوقي .

8- زهرة العمر لـ: توفيق الحكيم.

9- النصائح الدينية لـ: الحارث المحاسبي.

10- المنقد من الضلال لـ: الغزلي.

11- لفتة الكبد في نصيحة الولد لـ:عبد الرحمان بن الجوزي.

12- لطائف المنن لـ: عبد الوهاب الشعراني.

13- الإعتبار: أسامة بن المنقد.

14- طوق الحمامة في الألفة والآلاف لـ: ابن حزم.

هذه المؤلفات وغيرها التي لا تعد ولا تحصى في فن السير الذاتية.

ثانيا: السيرة الموضوعية(الغيرية):

الشكل الآخر من أشكال السيرة،وفيه يتطوّع الراوي السيري الغيري لرواية حياة إبداعية في مجال حيوي ومعرفي معيّن،لشخصية منتخبة يعتقد بأهميتها وضرورتها وخطورتها فضلا عن صلاحيتها للتقديم،فيذهب إلى قراءة الشخصية قراءة مستفيضة وحشد كل ما هو ممكن من معلومات حولها،وصولا إلى خلق إحساس عال بها يساعده في تلمّس خفاياها والكشف عن باطنيتها،على أن لا تتحول الشخصية إلى أنموذج ضاغط يبعد الراوي عن الروح الموضوعية للسرد،إذ يتوجب أن يكون عنصر التوازن والشفافية في مقدمة العناصر المشتغلة والفاعلة في مسيرة البناء السيري الغيري.(1)

ففيها يترجم الكاتب لشخصية غير شخصيته، سوا ء كان ذلك في حياتها أم بعد، ولاب د أن يفهم الكاتب الشخصية التي يكتب عنها في البيئة والزمان اللذين عاش فيهما.(2)

فكاتب السيرة يسعى لعرض سيرة شخصية من الشخصيات تكون لها أهمية في الحياة فيعرض كل مراحل حياتها بجميع مجالاتها، وه و حرفي التلاعب بالأزمنة والأمكنة التي عاشت فيها هذه الشخصية وأن يكون صادقا ودقيقا عند نقله للمعلومات الخاصة بالشخصية المراد الكتابة عنها.

والمعروف أن أول ما ظهر في أدبنا هو السيرة النبوية، وق د تلاها على مرِّ العصور كتب كثيرة تناولت حياة بعض الأعلام من أولى الأمر أو من أهل الأدب.(3)

---

(1): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة.ص: 120.

(2): .www.Izzatomar.com/...index.php?.....viewarticlecartid……

(3): أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة.ص:553.

أ ـ أنواع السيرة الموضوعية:

تنقسم السيرة الموضوعية إلى عدة أقسام:

1 ـ السيرة الغيرية الشعرية:

سرد نثري يتولى فيه الكاتب تدوين السيرة الشعرية لشاعر منتخب يقتصر فيها على سرد الحياة الشعرية بكل متعلقاتها التاريخية والحديثة والمكانية، مع اغفال التطرق إلى الجوانب السيرية الأخرى في حياته إلا بالقدر الذي يسهم في إغناء سيرته الشعرية وإيضاحها.

ولذا يشترط في مثل هذه السيرة المنتخبة أن تكون ثرية وخصبة، لها تاريخ حافل وانجازات مهمة تغري الكاتب بكتابتها كما تغري القارئ بمتابعتها والإفادة من تجاربها في ميدانها الفني المخصوص.

وهي تختلف عن السيرة الذاتية الشعرية في أنها تكون أقل حماسا في الدفاع عن النموذج الشعري كما تتسم بموضوعيتها، لكنها في الوقت ذاته تحرم من بعض الإنبثاقات الذاتية الخلاقة، التي لا يمكن أن تخرج إلا من داخل الشاعر ذاته في التعبير ع ن بعض إشكاليات تجاربه الشعرية كما هو الحال في السيرة الذاتية الشعرية، فضلا عن أن لغة وأسلوبية التعبير السردي وطرائق استرجاع صورة الذاكرة، أقل إشراقا وطرافة وشاعرية من السيرة الذاتية الشعرية.(1)

يهتم كاتب السيرة الغيرية الشعرية بكتابة سيرة شاعر من الشعراء، فيتطرق إلى كل المحطات المهمة الذي مرّ بها في حياته، وقد يستفيد من بعض مستندات ومدونات الشاعر (شهادات، مقابلة، حوار، مقالة.....) لتسخيرها في سيرته.

---

(1): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة.ص: 121.

2-السيرة الغيرية القصصية:

سرد نثري سيري غيري يذهب فيه الكاتب إلى تسجيل سيرة غيرية قصصية لقاص منتخب، يعمد فيها إلى تخصيص سرده السيري في الحياة القصصية للقاص بمرجعياتها وإشكالاتها من دون الغوص في سيرة حياة القاص عامة إلا ضمن الحدود المقيدة لسيرته القصصية.

وبوسع الكاتب تسخير كل المدونات والمستندات والمعلومات التي يتفوه بها القاص، أو يصرح بها، أو يسجلها لخدمة التشكل السير غيري القصصي من أجل الوصول به إلى أمثل صورة ممكنة. وللكاتب الحرية في إختيار الوضع السير غيري القصصي من حيث الترتيب التاريخي والمكاني والحدثي، من دون الإخلال بالنسق السيري في شكله العام، وحسب أهمية كل مرحلة من مراحل تطور سيرته القصصية وخطورتها في سياق حضوره في المشهد القصصي العام.(1)

فكاتب السيرة الغيرية القصصية يتطرق لحياة أحد القصاصين ملما بكل ما هو مهم في حياته بالإستناد إلى المعلومات والمدونات الخاصة بالقاص.

3- السيرة الغيرية الروائية:

سرد نثري سيرغير ي يتطوع فيه الكاتب لتقديم سيرة روائية لروائي منتخب، يعتقد بأهميته الإبداعية في مجال الإبداع الروائي، وباتساع تجاربه الروائية على النحو الذي تكون فيه مؤهلة لأن تروى، بما تنطوي عليه من خصب وعمق، وما تتكشف عنه من دروس فنية في خصوصيات الفن الروائي تحرِّض المتلقين بمختلف شرائحهم على متابعتها والتزود من ثرائها ومعارفها الفنية.(2)

---

(1): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة.ص: 122.

(2): المرجع نفسه . ص:123.

يسخّر الكاتب كل ما يتعلق بالراوي من وثائق ومدونات من أجل أن توفر له معلومات دقيقة تسهل عملية إنجاز سيرته، مقتصرا في ذلك على المعلومات والبيانات المهمة والخاصة بعمله الروائي، فيسجل حياته الروائية من البيانات الأولى وصولا إلى أعلى مراحل النضج التي وصلها.

4- السيرة الغيرية النقدية:

سرد نثري غيري ينتخب فيه الكاتب ناقدا متميزا، يمتلك حضورا بارزا في الساحة النقدية، وتصلح تجاربه النقدية لأن تروى رواية سيرية يمكن أن تحقق المتعة والفائدة لجمهور المتلقين. إذ يقوم بحشد المعلومات التاريخية والفنية عن السيرة النقدية للناقد والتركيز على صورة الحياة النقدية له.(1)

كذلك كاتب السيرة النقدية مثله مثل أصحاب السير الأخرى يعتمد على المستندات والمعلومات الخاصة بالناقد، فيقوم بالإحاطة بكل الجوانب المتعلقة بحياة الناقد ذات الإتصال بالعمل النقدي وعرض نظرياته وأفكاره ومنهجه النقدي بأسلوب سيري، ولغة سرد فيها من السهولة التعبيرية والرشاقة ما يغري متابعتها و الاستمتاع بإشراق السرد السيري فيها.

إن السيرة الموضوعية تشبه السيرة الذاتية من حيث التفرع فهي تنقسم إلى عدة أقسام، وقد كثرت مجالات كتاباتها، وهذا يدل على أن مجال هذا النوع واسع ومهم من طرف الكاتب، وذلك من خلال كتاباتهم فمنهم من يكتب سير عن الشعراء ومنهم من يكتب عن الرواة ومنهم عن القصاصين ومنهم عن النقاد، متبعين في ذلك أسلوبا أدبيا بلغة فصيحة، وتعبير جميل خال من التكلّف، من أجل أن تلقى سيرهم إقبالا كبيرا من طرف القراء.

(1): محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة.ص: 123.

ب- بعض المؤلفات في السيرة الموضوعية:

1- ابن المقفع لـ: عبد اللطيف حمزة.

2- أبو نواس لـ: عمر فروخ.

3- الأصمعي لـ :عبد الجبار جومرد.

4- الحسن البصري لـ: إحسان عباس.

5- أمين الريحاني لـ: محمد علي موسى.

6- باحثة البادية لـ: مي زيادة.

7- بطلة كربلاء لـ: بنت الشاطئ.

8- الجاحظ لـ: شفيق حيري.

9- إبراهيم الحوراني لـ: كمال اليازجي.

10- خليل مطران لـ: علي ادهم.

11- رابعة العدوية لـ: وداد سكاكيني.

12- سكيب أرسلان لـ: سامي الدهان.

13- صاحب الأغاني لـ: محمد أحمد خلف الله.

14- العبقريات لـ: عباس العقاد.

15- عمر بن أبي ربيعة لـ: جبرائيل جبور.

16- فارس الشدياق لـ: مارون عبود.

17- قاسم أمين لـ: أحمد خاني.

18- مالك بن أنس لـ: أمين الخولي.

19- محمد عبد لـ: عثمان أمين.

20- جمال الدين الأفغاني أبو ربه.

21- محمد علي لـ: شفيق غربال.

22- محمد النبي لـ: حسين هيكل.

23- عبد القادر المغربي لـ: محمد طلس.

ثالثا الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الموضوعية:

من خلال التعاريف السابقة التي تطرقنا إليها عن السيرة الذاتية والسيرة الموضوعية لاحظنا وجود اختلاف وفرق بينهما ويتجلّى ذلك فيما يلي:

يطلق على السيرة الذاتية Autobiography وعلى السيرة الموضوعية Biography فالأولى تعرض لحياة صاحبها فتعكس مشاعره وعواطفه ومواقفه من الحياة في صورة تستبطن أغوار النفس وخلجاتها، أما الثانية فتعرض لحياة غيرها من خلال الوقائع والذكريات واليوميات والمقالات والرسائل..... لذا كانت السيرة الذاتية أوغل في الصدق، وأوقع في النفوس، لأن مؤلفها صاحبها، فلا يوجد هناك وسيط لعرض أحداث حياته وآرائه ومواقفه في الحياة.(1)

كذلك من أوجه الإختلاف نجد أن السيرة الذاتية تكتب بصيغة المتكلم والأخرى بصيغة الغائب، والأولى نقل مباشر أما الغيرية فإنها نقل غير مباشر وذلك عن طريق الشواهد والوثائق، ثم إن الصفات التي تجعل السيرة الذاتية عظيمة ليست هي نفس الصفات التي تجعل السيرة الغيرية عظيمة، في رأس تلك الصفات أن يكون كاتب السيرة موضوعيا، يلمح بسرعة ويفهم بأحكام ويلم الحقائق، ويحكم عليها، ويمزجها مزجا متعادلا منسجما ، ويصبغها بأسلوبه، أما كاتب السيرة الذاتية فإنه ذاتي قبل كل شيء، ينظر إلى نفسه ويسلط أضواء النقد ودقة الملاحظة على شخصيته ومترجم غيره يقف موقف الشاهد لا القاضي.(2)

كذلك كاتب السيرة الذاتية يتتبع سيرته من الداخل متجهة نحو الخارج على عكس السيرة الموضوعية فهي من خلال الأحداث التي يمر بها الشخص المترجم له يُعرف ما بداخله، كذلك كاتب السيرة الموضوعية يقف كشاهد لا كقاضي، أما السيرة الذاتية فتجمع بين الصنفين ، فالأول يحمل الفكرة كما هي لا يزيد ولا ينقص منها أما الثاني فهو حر في تدوين حياته كما يشاء.

---

(1): شعبان عبد الحكيم محمد: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية . ص:13.

(2): إحسان عباس: فن السيرة.ص: 103.

الترجمة الذاتية وإن اشتركت مع الترجمة الغيرية في تصميمها الفني من حيث وحدة البناء، وتطوّر الشخصية وقوة الصراع إضافة إلى اعتمادها على الأحداث التاريخية (لحياة صاحبها) والسرد الأدبي ..... إلا أن الترجمة الذاتية أكثر صلة وأبعد أثرا في نفس المتلقي عن السيرة الغيرية، ذلك لأن السيرة الذاتية كاتبها صاحبها يمتاح من ذاكرته ويكتب عما اعتمل في نفسه، أما كاتب السيرة الغيرية فهو يعتمد على المذكرات والوثائق واليوميات والقراءات الأخرى عن شخصيته، فكاتب السيرة الذاتية يصور مادة متنوعة من ذاته، وكاتب السيرة الغيرية يستنتج من تحليله للوقائع، والأحداث التي وقف عليها عن الشخصية التي يكتب عنها، وكاتب السيرة الذاتية هو صاحب الكلمة الأخيرة في موضوعه، فلا يستطيع أحد أن يضيف لمادته شيئا جديدا، وأما الكاتب الغيري، فهو كاتب بين الكثير، ومن الممكن أن يضيف إلى موضوعه شيئا جديدا. (1)

صحيح أن السيرة الذاتية تختلف عن السيرة الموضوعية، وذلك لأن السيرة الذاتية نابعة من نفسية صاحبها وهو الذي يتصرف فيها كما يحلو له لكن كاتب السيرة الموضوعية عند كتابته لسيرة الشخص المترجم له فهو مقيد بالأحداث والانفعالات وكل ما يدور بالمترجم له فلا يستطيع تغيير أو إضافة أي شيء خارج عن سيرته لهذا يختلفان لكن رغم هذه الاختلافات الموجودة بين السيرتين إلا أن هذا لا يمنع من وجود ارتباط بينهما،وذلك أنهما تشتركان في أن كلاً منهما تمدنا بسيرة حياة الرجل العبقري لأنهما يتناولان تاري خ الأفراد وكلتاهما تطلعنا على التطور الخلقي والعقلي والعاطفي لصاحبها،وكلتاهما تزيد من ثقافتنا من خلال تعرفنا على شخصيات كنا نجهلها،و لربما نستفيد من تجارب هذه الشخصيات خاصة وأنها مستمدة من الواقع.

---

(1): شعبان عبد الحكيم محمد: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص:20.

سيرة البلدان:

بالإضافة إلى كتابة السير عن الأبطال والشخصيات المهمة في الحياة، يوجد نوع آخر من السير، وهو سيرة البلدان ففي هذا النوع يتكلم كاتب السيرة عن بلد من البلدان، فيؤرخ لهذه البلدان من ذكر أسماء من ولد فيها أو نشأ بها أو وفد عليها أو خرج منها من العلماء والأدباء والعظماء في كل علم وفن، وهناك كتب تعالج تواريخ البلدان من حيث فتوحاتها وأخبار تلك الفتوحات.

وأقدم الكتب، كتب تواريخ البلدان التي امتلأت بتراجم الرجال «وهو تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (في القرن الخامس الهجري)، ولقد لقى هذا الكتاب من الشهرة ما دعا العلماء إلى النسج على منواله فيما يتصل بالبلدان والعواصم الإسلامية الأخرى، فنجد ابن عساكر الذي كتب كتابه الضخم «تاريخ دمشق» كذلك نجد كتابا آخر عن البلدان هو « الإحاطة في أخبار غرناطة » للسان الدين بن الخطيب (في القرن الثامن هجري)، وكتاب البلدان للبعقوبي وتقويم البلدان لأبي الفدا،ومعجم البلدان لياقوت، والمسالك والممالك لابن خرذادبة(1)

هذا النوع من الكتب اهتم بدراسة البلدان من الناحية الجغرافية و التاريخية كما اهتم بعرض أهم عاداتها وتقاليدها، خاصة إن كانت موطنا لحضارات سابقة،وموطنا لشخصيات عظيمة دات فائدة على الأمة، وهناك أيضا من يعرض على الكتابة عن الأنهار ،ونجد مثل هذا عند الكاتب إميل لود فيج في كتابه" حياة نهر" .

(1): أنظر: ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ و فن. ص:94، 95.

خصائص فن السيرة:

مما لا شك فيه أن لكل جنس أدبي خصائص تُميّزه عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى.

ومن مميزات وخصائص السيرة ما يلي:

1- إيراد الأحداث وفق التسلسل الزمني حسب ما أوردتها المصادر القديمة، وذلك إذا تعلّقت السيرة بشخصية من الماضي.

2- تحرّي الدّقة والموضوعية، والإعتماد على الأدلة والبراهين القوية.

3- اعتماد العقل، والبعد عن الهوى، والتقيد الصارم بالحقيقة.

4- اتخاذ الأسلوب القصصي الذي يقوم على سرد واتّباع المنهج المشوِّق، واللجوء إلى الحوار إذا إقتضت الضرورة.

5- ضرورة ربط أشخاص السيرة ببيئتهم، وكذا حياتهم السياسية والدينية لمعرفة مدى التأثير والتأثّر.

6- الإعتماد على التحليل النفسي ، لإجلاء المواقف الغامضة والوصول إلى الأحكام الحقيقية.

7- عرض الروايات المختلفة إن وجدت، مع ترجيح الرواية الأكثر صدقا بالتدليل والبرهنة.(1)

8- انتقاء مواقف الحياة ما فيه دلالة وعبرة.

9- عرضها على القارئ بطريقة مؤثرة.

10- في السيرة روح الخيال لا يخلّ بالتاريخ، وإنما يضفي على الأسلوب حيوية وإثارة وتشويق.(2)

---

(1):محفوظ كحوال : الأجناس الأدبية النثرية و الشعرية . ص :81.

(2): ……www.Izzatomar.com/...index.php?.....viewarticlecartid.

المبحث الثاني: كتابة السيرة وعلاقتها بالفنون الأخرى.

أولا: كتابة السيرة:

وصف "ليتون ستراتشي" فن السيرة ذات مرة فقال: « إنّه أدق فنون الكتابة طرا » فكاتب السيرة مطالب بأن يتوخى الدقة والنظام والمنطق في وصفه لهذه النفس البشرية المتأججة والتي يتعذّر الإمساك بها ولكنها تبعث في القلب البهجة حين تتحدى النظام والدقة والمنطق ولكاتب السيرة أن يطلق بخياله العنان كما يحلو له، وكلما أمعن في خياله كان ذلك أفضل، وذلك في طريقة ربطه لمواده بعضها ببعض، ولكن عليه ألاّ يختلق مواده وهو مطالب بأن يدرس الماضي، ولكنه أيضا مطالب بأن يدرس الماضي في دور الحاضر، وعليه أن يحكم على الحقائق، ولكن عليه أن يتحاشى وأن يجعل من نفسه حكما.(1)

على كاتب السيرة أن تكون سيرته دقيقة وصادقة ومنطقية وذلك من خلال تتبع خطوات في كتابتها وهذه الخطوات تتمثل في: اختيار الموضو ع المناسب، وبعدها البحث في هذا الموضوع وذلك بجمع الحقائق الخاصة بالشخصية المدروسة ونقد هذه البحوث وبعد ذلك تحليل الشخصية ودراسة زمن الشخصية بالتسلسل.

1- الموضوع:

هناك علاقة عامة بين كاتب السيرة وموضوعه تتحدد منذ البداية فعلى الكاتب أن يختار موضوعه بنفسه، فهو مطالب أن يعيش في عصر غير عصره ويتخذ لنفسه شخصية رجل آخر وهذه الصلة الذاتية تبدأ من اللحظة التي يفكر فيها كاتب السيرة في كتابة سيرة أحد الأشخاص ويشعر بميل نحو هذه الشخصية والسبب في ذلك إعجابه بهذه الشخصية أو مؤلّفاتها، وفي هذا المجال يقول "مورو" في محاضراته عندما ترجم حياة "شيلي" فقال أنّه وجد في هذا الشاعر مرآة لعواطف شبابه.(2)

---

(1): إدل ليون: فن السيرة الأدبية، ترجمة صدقي حطّاب، مؤسسة الجلبي و شركائه د.ط، القاهرة،1973.ص:9.

(2): المرجع نفسه . ص: 18.

كذلك يقول ستراتشي: «على كاتب السيرة أن يحاول معرفة نفسه قبل أن يسعى إلى معرفة حياة إنسان آخر.»(1)

وعليه فإن كاتب السيرة قد يدفعه -إعجابه بشخصية ما- نحو الكتابة عنها أو ربما وجد نفسه فيها، أو وجد بعض صفاته التي يتصف بها موجودة في هذه الشخصية، قد يكون أعجب بمؤلفاتها وانجازاتها، ولكن ليس لمجرد الإعجاب يتجه كاتب للكتابة عنها دون تسلح وخبرة مسبقة في هذا الفن الأدبي.

فالسيرة تحتاج إلى الخبرة ودقة الوصف والذكاء في ربط الأحداث بعضها ببعض، وصياغتها في قالب ممتع، ونجد مثل هذا الرأي عند الكاتب ماهر حسن الذي يقول: «والحقيقة أن كثيرين من كتاب السير يهجمون على موضوعهم دون خبرة سابقة فمثلهم في ذلك مثل الفتاة التي أرادت أن تعمل مربية للأطفال لا لثقافة معينة أو خبرة مكتسبة ولكن لمجرد أنها كانت طفلة في يوم ما. »(2)

وما يهمنا في هذا الجانب أيضا هو أن نؤكد مدى ولع واهتمام المؤلف بالموضوع، وذلك حتى تنمو الشخصية معه، وكل شخصية تختلف عن الأخرى فسيرة شاعر تختلف في تنسيقها عن شخصية عالم من العلماء، ومن الأحسن كتابة سيرة عن شخص قد فارق الحياة، فأنّ تتخذ شخصية ما تزال على قيد الحياة بطلا لسيرتك فيه خطورة كبيرة. فقد تخطأ في بعض أحداث حياته كالتاريخ أو المكان، وقد تجرحه في قول ما، وقد تذكر حدثا ربما يسبب له الإزعاج أو الإحراج أمام الجمهور خاصة وإن كان معروفا، فلن يسلم من ردّه وهجاءه.

(1): إدل ليون: فن السيرة الأدبية .ص:20.

(2): ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ و فن.ص: 56.

2- البحث:

إنّ المرحلة التي تعقُب الموضوع هي عملية البحث فعندما يفرغ الكاتب من اختيار موضوعه وتحديد شخصية سيرته شرع في عملية البحث وجمع المادة والمعلومات التي تدور حول هذه الشخصية خطوة خطوة.

إن متع البحث ولذّات إماطة اللثام عن الوثائق، واكتشاف الأشخاص الذين خلدوا بعد وفاتهم ومازالوا يربطون كاتب السيرة بماض قريب، كل هذه متع تتصل بفرحة إعادة الخلق في السيرة، ولا ينتظر من القارئ أن يشارك فيها.

إنّ تحمّس البحث الذي هو من صلب مهمة كاتب السيرة يجب أن يتحول في أثناء كتابة السيرة إلى وصف متزن هادئ.(1)

فبعد اختيار الكاتب للشخصية المدروسة فإنه يلجأ إلى البحث وقضاء ساعات طويلة في المكتبات وفي مراسلة أناس كثيرين بحثا عن المخطوطات القديمة في غرف معزولة للوثائق والمخطوطات، إضافة إلى إقامة لقاءات مع من ظلوا على قيد الحياة من زوجات أو أزواج هؤلاء ومن أقاربهم. وقد تكون هذه المادة المتجمّعة كبيرة في حجمها وهذا ما نجده عند لوكهارت الذي وجد نفسه مثقلاً بأكوام عندما شرع في كتابة سيرة صهره (سيرولترسكوت).(2)

لهذا نجد بعض الكتاب لديهم الكثير من الوثائق الخاصة بالشخص المراد الترجمة له. ونجد آخرون لا يحتوون إلاّ على عدد قليل من الوثائق وهذا ما نجده عند "تشكسبير أو مارلو"، نجد الأول وقد أثقلته الوثائق وأتخمته يتمنى في بعض الأحيان أن لو كانت وجبته أقل دسامة مما هي عليه، فأيهما أشقى بمهمته: أذلك الذي لا يكاد يجد إلاّ القليل فيسعى إلى جمع الحقائق باستعراض عصر كامل؟ أم ذلك الذي لا يكاد يرى العصر لأن التفصيلات التي أمامه قد جعلت الرؤية متعذرة؟ ويبدو أن حظ الاختيار عند كل منهما قليل: ففي كلتا الحالتين نجد أن الماضي يشكل جبلا

(1): إدل ليون: فن السيرة الأدبية . ص:37.

(2): المرجع نفسه . ص:40.

وعر المسالك، ويخيل إلى أن الإنسان إذا أراد أن يقارن بين ساعات العمل وبين غنمها يجد أن كتابة السيرة تكلّفه أغلى من أي عمل آخر فوق هذه البسيطة.(1)

إنّ كاتب السيرة يجد عناءا كبيرا أثناء بحثه عن الحقائق والوثائق، وخاصة إذا كانت الشخصية المدروسة قد ماتت منذ زمن، هذا يكلّف الكاتب مشقة كبيرة ، وعبّر عن ذلك Flexner حين قال أنّ السيرة فن معقّد. فينبغي أن يكون كاتب السيرة باحثا «موسوما» لأنه يجمع أشياء تبدو متناقضة(2) .

فعلى الباحث في السيرة أن يكون مسلّحا وقادرا على جمع المادة الخاصة بشخصية سيرته، فنجد الكتّاب الذين يستمدون مادة سيرتهم من الحياة مباشرة أي أن شخصيتهم التي يدرسونها ما زالت على قيد الحياة يكون بحثهم أسهل من الذين يجمعون المادة من الوثائق أي أن الشخصية ماتت منذ زمن، وهذا ما يدل على أن معظم السير التي كتبت في أدبنا هي تلك السير التي كتبها أناس عرفوا من كتبوا عنهم معرفة مباشرة.

3- النقد:

بعد انتهاء كاتب السيرة من جمع المادة الخاصة بالشخص المراد دراسته، فإنه يلجأ إلى خطوة أخرى التي تجعل من سيرته خالية من الغموض والثغرات وتتمثل في النقد الذي عبر عنه غراهام في قوله: « الغاية القصوى التي خلق لها النقد هي أن يمكننا من أن نفهم كل شيء فهما صحيحا في محله ونميز الجيد من الرديء ».(3). فعلى كاتب السيرة أن يكون ناقدا قبل أن يكون كاتبا لسيرته.

---

(1): إدل ليون: فن السيرة الأدبية. ص:43.

(2): ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ و فن.ص: 69.

(3):نقلا عن أحمد رحماني : النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي في القرن الرابع الهجري ،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي القديم،1408هـ – 1987م.ص :11.

ويبدأ الكاتب بقراءة وتقويم أعمال من سيكتب سيرته، وينتقل من هذا إلى نوع آخر من النقد، ألا وهو تقويم البنيات ووزنها، وهذه مهمة أشبه ما تكون بالعمل القانوني أو القضائي، تقتضي منطقا صارما وإحساسا سليما بالواقع، وخيالا قد يشبه خيال الشاعر.(1)

فالناقد يقتضي عليه أن يكون ذا معرفة شاملة بالأعمال الخاصة بالشخصية المدروسة، وعليه أن ينغمس في هذه الأعمال حتى يستطيع أن يعطي تفسيرا لكل نص، وأن يعرف الطريقة التي يستخدمها المؤلف، وعلاقة أعماله بعضها ببعض. فمن خلال هذا يعرّف الكاتب كل ما يتعلق بصاحب هذه الأعمال من تجارب حياته، وكل سمة من سماته وفي هذا نجد المسز وولف التي كتبت كلمات كثيرة سديدة عن فن السيرة، ولاحظت أن: «كل سر في نفس الكاتب، وكل تجربة في حياته، وكل سمة من سمات عقله نجدها مكتوبة في ثنايا مؤلفاته، ومع ذلك فنحن بحاجة إلى النقاد لتفسير الجانب الأول، وإلى كتّاب السير لتفسير الجانب الثاني» (2).

ويقول كاريل: « كم هو مريح أن نعرف الفرد البشري، وأن ننظر خلاله لندرك كل أسراره، وأن ننظر إليه لنرى العالم كما يراه، وأن نشخّصه» (3).

ومن هنا يجب على كاتب السيرة أن يدرس أعمال شخصيته وفهمها وتمحيصها من أجل الوصول إلى الثغرات والغموض الموجود في مؤلفات وأعمال الشخصية، وذلك من خلال النقد، فعليه أن يكون ناقدا في كل خطوة من خطوات سيرته.

---

(1): إدل ليون: فن السيرة الأدبية .ص : 64.

(2): المرجع نفسه . ص : 67.

(3): ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ وفن.ص : 89.

4- التحليل النفسي:

إنّ الفن لا يتولّد من الفراغ، وإنّما هناك دوافع أدت بالكاتب أو الفنان لإنشاء أعماله، فقد تكون دوافع خارجية أي المحيطة به، أو دوافع داخلية متعلقة بشعوره ونفسيته وعواطفه، والطريقة المثلى لمعرفة وكشف النفوس وتحليلها هي اللجوء إلى التحليل النفسي، وهذا الأخير الذي جاء به فرويد. فأعتمد عليه الكتّاب بما فيهم كاتب السيرة الذي جعله خطوة من خطوات كتابة سيرته.

فنجد كتّاب حياة سيجموند فرويد ومؤلفاته دراسة نموذجية تشرح العلاقة بين التحليل النفسي وبين فن السيرة. (1) فقد ألقى علم النفس كثيرا من الأضواء الكاشفة على نفسية الأفراد من أجل فهم طبيعة الإنسان، وتفاعل علم النفس مع السيرة واتجه إليها باعتبارها حالات متفردة، حتى لقد قيل:« إن السيرة هي فرع من علم النفس التطبيقي »(2).

وقد استخدم كثير من كتّاب السير التحليل النفسي في تدوين سيّرهم وذلك من أجل توضيح ومعرفة الحقيقة عن الشخصية المراد دراستها وحتى لا يكون هناك غموض في سيرته. وفي هذا نجد اعتراف "لودفيج" أنه كان يعتمد على نجوى الذات، ووصف الحركات النفسية حيث تقلّ لديه المصادر والوثائق، قال في مقدمة كتابه كليوبترا: « وما وجدت من نقص في الأسانيد النفسية أباح لي التزام نجوى الذات، ووصف حركات الروح بحرية أعظم مما تسُوغه كثرة المصادر عند وجودها، ولما بدأت تاريخي عن غوته في سنة 1919م، ولزمت سبيلا جديدا في ترجمته، رجعت أحيانا إلى مبدأ مناجاة الإنسان نفسه »(3).

وصرّح كذلك لودفيج في كتابه "نابليون" بأنه ليس في كتابه جملة واحدة إلا حديث النفس أما عدا ذلك كله مقتبس من الوثائق والرسائل، أما طريقته في ذلك الكتاب عامة فقد وصفها بقوله:«وقد حاولت هنا أن اكتب تاريخ نابليون من الباطن».(4)

---

(1): إدل ليون: فن السيرة الأدبية. ص:113.

(2): ماهر حسن فهمي:السيرة تاريخ وفن.ص: 56.

(3): إحسان عباس: فن السيرة.ص: 47.

(4): المرجع نفسه.ص: 47.

ويستخدم "العقاد" علم النفس استخداما مباشرا في عبقرية عمر ليفسر قصة سارية المشهورة،كذلك نجد "زفايج" الذي استخدم روح علم النفس في تعليل قرارات كازانوفا المفاجئة التي تخرجه من مآزقه،حين تومض في داخله شرارة وهاجة من البصيرة فتضيء له السير،أما هو فلا يفكر ولا يدبر،حتى أنه كثيرا ما يحفل مذهولا لما بدر منه،ويفرك عينيه دهشة وحيرة . (1)

لكن على كاتب السيرة أن يكون عارفا بطريقة استخدام علم النفس،وعليه كذلك أن يعرف كل المصطلحات الخاصة به ويدرسها ويحللها بصورة أدبية حتى لا ينتهي به المطاف إلى تشويه سيرته أي حياة الشخص المدروس.

5- الزمن:

بعد المراحل والطرق التي سلكها كاتب السيرة من اختياره للموضوع وبحثه عن المادة،وجعل نفسه ناقدا للأدب والبيّنات وربطها بالتحليل النفسي،تعتبر هذه الخطوات تمهيدا للعمل الختامي الذي يلتقي فيه الباحث الأدبي والناقد وعالم النفس في شخصية واحدة هي شخصية كاتب السيرة،فهو بعد مروره بهذه المراحل يصل إلى المرحلة الأخيرة التي تتمثل في ترتيب الوثائق ترتيبا زمنيا،ويعرف الزمن بأنه: « اسم يدل على الوقت بالسنين أو الأيام أو الساعات،ويتكون من ماض وحاضر ومستقبل».(2)

وقد تكون هذه اللحظة صعبة لأن الكاتب يبقى حائرا من أين يبدأ،وكيف يجد طريقه وسط هذه المادة المضطربة وبين هذه الأيام والشهور والسنين الكثيرة،وكيف يستطيع في هذه الطريق الوعرة؟. فعليه أن ينظّم هذه المعلومات بطريقة منظمة وبلغة واضحة وبأسلوب قصصي هادئ ومتزن ورصين،مع مراعاة ترتيب الزمن،فكاتب السيرة مرتبط ومقيد بالزمن.

---

(1): أنظر:ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وفن.ص:185.

(2): حنان محمد موسى حمودة :الزمكانية و بنية الشعر المعاصر-أحمد عبد المعطي أنموذجا-دار الكتاب العالم،ط2،د.ت.ص:113

« ولما كان الإنسان،حيثما كان،مقيدا في إدراكه لذاته أو للعالم بتاريخيته أي بانقسامه في الزّمن، إلى كيان متعدد منفصم،فهو موزع أبدًا بين ثلاثة أزمنة لافكاك له من إسارها،وهي الماضي والحاضر والمستقبل،كان المشروع السيرذاتي،يستمد قيمته من أنه محاولة تروم تركيب شتات الكيان المبعثر على الخط الزمني المتعدد،بغية النّفاد إلى جوهر الهوية الفردية والتعرف إليها،ولا سبيل إلى تجسيد مشروع كهذا إلاّ بالتماس الكتابة أداة لصهر الكيان وتأليفه في رؤية موحدة ».(1)

نجد كل كاتب سيرة مقيد بالزمن لكنه له الحرية في التقديم والتأخير في زمن الأحداث،فهناك من يبدأ بالماضي ثم الحاضر وهناك من يبدأ الحاضر ثم الماضي،وهذا يتوقف على حسب دراسة كل كاتب،وعلى كاتب السيرة أن يأخذ الأحداث المهمة في حياة الفرد وهذا ما نجده عند "ميخائيل نعيمة" الذي اعترف بأنه سيعطي للناس عن حياته ما يهمهم من مؤثرات في نشأته وتربيته وتكوينه النفسي والوجداني والعلمي،أما من أين أرزق،ماذا آكل وأشرب وألبس وما الذي كان بيني وبين نساء أحببتهن،ومتى حزنت وبكيت.....هذه الأمور كلها وكثير من نوعها.فما ظننت أن الناس أي نفع في معرفتها، لذلك أهملتها الإهمال كله.(2) لهذا فعلى كاتب السيرة أن يضع رؤية معيارية يحدد فيها ما يمكن أن يحيكه في سيرته،وما عليه أن يهمله،وهذا باعتماده على مبدأ الإنتقاء وليس نقل كل الأحداث والوقائع.

من خلال الخطوات التي يتتبعها كاتب السيرة في سيرته من اختيار للموضوع وبحث غن المادة،ونقدها وتحليلها تحليلا نفسيا،وترتيبها ترتيبا زمنيا،فإن من مقتضيات كتابة السيرة التمحيص الدقيق والأمانة الموضوعية وعدم تسخير الأحكام والأحداث لعاطفة الكاتب،لأن العاطفة تؤدي بالسيرة إلى الإنحراف عن وضعها الطبيعي، فهذا يتطلب الدقة العلمية ورهافة في الحس وخيالا محدودا،وإذا كانت السيرة تتطلب في مناهج الدرس التحليل ودقة في البحث،فإن كتابة السيرة تتطلب من صاحبها الجرأة والصراحة، والصدق والأمانة في الحديث ونقل تجارب الحياة وحوادثها

---

(1): جليلة الطريطر : مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات).ص:727.

(2): شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية.ص:166.

ثانيا: علاقة السيرة بالفنون الأخرى:

تعتبر إشكالية العلاقة بين الفنون الأدبية من أهم الإشكاليات التي يسعي النقد إلى تفسيرها ودراستها ،ومن بين الفنون التي وضعت تحت مجهر الدراسة فن السيرة،هذا الأخير الذي ارتبط كغيره من الفنون بأجناس أدبية أخرى مثل: الرواية والقصة.

علاقة فن السيرة بفن الرواية:

لقد اتفق جلّ النقاد على القول بأن جنس السيرة أخد واستفاد استفادة كبيرة من التقنيات الروائية،ونجد هذاعند جورج ماي الذي جعلهما طرفين لسلم واحد فقال: « إن السيرة الذاتية حاضرة دائما في الرواية ولا يتغير إلا بمقدار النسبة السيرذاتية فحسب، فنحصل من هذا لا على مقولات متمايزة وإنما على سلم من الألوان الباهتة لا تكاد تميز »(2). فهو على حد تعبيره الرواية أصل و السيرة فرع لا تكاد تنفصل عن هذا الأصل.فقد أخذت السيرة من الرواية وأعطتها الإيهام بالواقع وإصطناع صيغة المتكلم وأخذت منها بناء الأحداث،حيث تسير الأحداث فيها سيرا طرديا أي من بداية حياة صاحبها حتى نهايتها.

فالسيرة الذاتية الروائية تخضع لملمحان فنيان لبناء الأحداث هما خضوع الأحداث لمبدأ الإنتقاء،والملمح الثاني هو أن الفن يضفي على الأحداث طابعا جماليا،فنرى الشيء في عالم الفن أجمل من عالم الواقع حتى لو التزم المبدع بالواقعية في صياغة عمله الفني.(3)

---

(1): جليلة الطريطر : مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات).ص:84.

(2): المرجع نفسه.ص:86-87.

(3): شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية.ص:165.

واعتبرت بعض النصوص أنها واقعة بين جنس الرواية وجنس السيرة مثل:"الأيام " لطه حسين و"سارة" للعقاد، و حنامينا في ثلاثيته (بقايا صور،المستنقع،القطاف) وخليل حسن خليل (الوسية)، توفيق الحكيم (عودة الروح) وغيرها.

فنجد طه بدر يعتبر كتاب "الأيام" أقرب إلى الرواية فهذه السيرة غلب على سرد أحداث حياة صاحبها الطابع الروائي في روعة العرض وتصوير المواقف،واستبطان الذات،والبوح النفسي بما يعتمل في نفس صاحبها من أشجان وأفراح،واستخدام الحوار والصراع الذي يعطي العمل الأدبي مذاقا وطعما فنيا جميلا.(1)

من خلال ما سبق نجد أنّ السيرة أخدت من الرواية التصوير والتجسيد،واستبطان الذات أي أعطتها تشريحا لنفسية البطل، أي المونولوج الداخلي.

إنّ التباس الحدود الأجناسية الفاصلة ما بين جنسي السيرة الذاتية والرواية،لم يكن الإلتباس الوحيد الذي تردّت فيه السيرة الذاتية فقد اختلطت إلى ذلك بكتابات أخرى قريبة منها بحكم وقوعها في دائرة ما يسمى بأدب الذات،وعلى رأسه الجنس المذكّراتي،وأعجب من هذا الخلط نفسه استمراره إلى أواخر الثمانينيات،مما يدل على أن المعايير الأجناسية المتعلقة بالسيرة الذاتية وبالأجناس المجاورة لها لم تستقر بعد في أدبنا العربي الحديث،رغم رسوخها اليوم في هذا الأدب،فقد ذهب الدكتور "يوسف نوفل" على سبيل المثال إلى تصنيف كل من سبعون"لميخائيل نعيمة" وحياتي"لأحمد أمين" و"تربية سلامة موسى" لسلامة موسى ضمن جنس المذكرات في حين أن جل النقاد يعتبرون هذه الآثار من السير الذاتية المؤسسة لهذا الفن في الأدب العربي الحديث.(2)

بالإضافة إلى ارتباطها بالرواية والمذكرات فإنها كذلك ترتبط بفن آخر ألا وهو فن القصة.

---

(1): شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص :73.

(2): جليلة الطريطر: مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث(بحث في المرجعيات). ص: 321- 322.

علاقة فن السيرة بفن القصة:

يعرّف محمد يوسف نجم القصة بأنها: « مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب،وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة،تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة،تتباين أساليب عيشها وتصرّفها في الحياة،على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير والتأثر»(1). من خلال هذا التعريف نجد أن القصة مصدرها الواقع المعيش الذي تعبر عنه بصورة فنية مثلها مثل السيرة .

كذلك كاتب السيرة موضوعي بقدر الإمكان في تقديم نفسه وتناول الشخصيات الأخرى،فكاتب القصة موضوعي في تناول البيئة وعرض المهاد الإجتماعي،ولاشك أن القصة الواقعية قد تأثرت بالسيرة الذاتية في عرض التفصيلات في الأسلوب خاصة الإهتمام بصيغة المتكلم للإيهام بالواقع وبأن القصة سيرة ذاتية،كما تأثرت بها في الموضوع أيضا،فقد أمدّت السيرة الذاتية كثيرين من كتّاب القصة الواقعية بموضوعات قصصهم،بل لقد اتخذ بعض كتاب القصة من تجاربهم وسيرهم منطلقا لموضوعاتهم،كما فعل"هرمن ملفل" حين كتب "موبي ديك" فقد كانت حياته خصبة غامر فيها وركب البحر إلى عوالم مجهولة واشتغل فترة بصيد الحيتان ووقع أسيرا في أيدي قبائل من أكلة لحوم البشر،فكتب قصة مستمدا أصولها من واقع تجاربه ولونها بعد ذلك بخيال القصّاص.(2) ، فقد أخدت السيرة من القصة الخيال في صناعة أحداث الأشخاص مثل ما نجد كذلك في سيرة "الليدي ماملتون" التي كتبها أ.بارنجتون بعنوان "السيدة المقدسة " فصلة هذه السيرة بالقصص أقوى من صلتها بالتاريخ والواقع.كذلك سيرة " حياة شوبان" التي كتبها مارجري ستراتشي بعنوان"العندليب" لقد مزجت فيها حقائق حياته الخيالية.وفي هذا النوع من "السير القصصية"وجد بعض القراء تعويضا عن القصة نفسها.(3)

---

(1): محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، د.ط، بيروت – لبنان ، د.ت،ج 2.ص: 09.

(2): ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ وفن.ص: 249.

(3): المرجع نفسه.ص: 14.

ويعد القاص عبد الستار ناصر أحد أكثر القصّاصين استجابة لهذا المعطى الأجناسي،إذ أن حياته بمختلف اتجاهاتها وصورها وتشكيلاتها وفضاءاتها وتجاربها ورؤاها مشروع دائم للقص، فسيرته هي قصته وقصته هي سيرته،وهو يتمتع بحرية كافية ذات مرونة عالية وشفافية إنسانية مدهشة لتحويل كل شيء في حياته إلى سرد قصصي،فحياته شهادة،وشهادته سيرة،وسيرته قصة وقصة حياة.(1)

من خلال ما سبق نجد أن العلاقة بين السيرة والقصة علاقة وطيدة،فالسيرة أخدت من القصة الخيال والقدرة على عرض الصراع بين البطل والأحداث وكذلك من السيرة تتبع الأحداث الحقيقية لحياة الشخص في مزيج فني وفي ثوب أدبي جميل،يحدث متعة وأثرا في النفوس،فقد اتصفت كثير من السير بجودة الصياغة الأدبية وسلاسة السرد القصصي،كذلك تأثرت القصة بالسيرة واعتمدت عليها،فقد أمدّت كتاب القصة الواقعية بموضوعات قصصهم وغيرها ويمكن للكاتب القصصي أن يستعين بسيرة ما في تأليف عمله القصصي وبذلك نقول بأن العلاقة بينهما علاقة أخد وعطاء.

وهكذا نجد فن السيرة يستفيد من الأجناس الأدبية الأخرى من فن الرواية التي أعطتها الإيهام بالواقع واصطناع صيغة المتكلم(السيرة الذاتية)،والتصوير والتجسيد،واستبطان الذات أي محاولة تشريح نفسية البطل.ومن القصة القدرة على عرض الصراع بين البطل والبيئة وصياغة الأحداث الحقيقية لحياة صاحبها.

---

(1): محمد صابر عبيد: المغامرة الجمالية للنص القصصي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 1431هـ - 2010م. ص: 115.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية

I - دراسة شاملة لسيرة حياتي لأحمد أمين.

1 -التعريف به.

2 -تلخيص سيرته.

3 -أسلوبه والروعة الفنية.

4 -فلسفته.

5 -الشخصيات.

6 -البيئة والعادات.

7 -التصوير النفسي.

II - دراسة بعض النماذج من السيرة.

1 -سيرة "الأيام" لطه حسين.

2 -سيرة "سبعون" لميخائيل نعيمة.

3 -سيرة "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة.

أحمد أمين (1886- 1954م):

أديب لغوي وأستاذ جامعي وعميد سابق لكلية آداب جامعة القاهرة عام 1939م من مواليد القاهرة في الأول من أكتوبر 1886م ، درس في الأزهر الشريف، ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي، وتخرج فيها عام 1907م، فتولى قاضيا شرعيا عام 1911م، ثم مدرّسا بمدرسة القضاء وقاضيا في الواحات الخارجية عام 1913م ثم انتظم في سلك التدريس بكلية آداب جامعة القاهرة، وظل يدرس بها حتى تولّى عمادتها.(1)

له بين أدباء العصر شخصية فذّة، فجمع إلى سعة العلم براعة الأدب، وعرف بأسلوبه السهل البليغ وانتاجه الضخم المنّوع، فكان أحد قادة الفكر العربي في العصر الحديث وأحد أئمة الأدب المعدودين الذين وجّهوا حركة التأليف والنشر في الربع الثاني من القرن العشرين، في العالم العربي عامة ومصر خاصة، وفي الفلسفة والتاريخ والأدب والاجتماع والقضاء، ففتح للناس فتحًا جديدًا في البحث والتحليل. (2)

ومن أهم أعمال أحمد أمين إنشاؤه لمجلة الثقافة التي أدت دورًا مهمًا ومؤثرا في الحياة الثقافية المصرية إلى جانب مجلة (الرسالة) لأحمد حسين و كثير من الأدباء، وشجعتهم على الكتابة حتى صاروا من أعلام الأدب الحديث، ومن أمثلة هؤلاء نجيب محفوظ وعادل كامل، عبد الحليم عبد الله، وعلي أحمد باكثير، وغيرهم كما خلّف أحمد أمين ثروة فكرية وأدبية عظيم ة تمثلت في تأليفه الكثير التي جعلته واحدا من أعمدة الثقافة العربية في القرن العشرين. ومن هذه الكتب " فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام" و" ظهر الإسلام" في هذه الكتب الثلاث عنى فيها بتأريخ للحياة العقلية عند المسلمين. (3)

وكذلك من مؤلفاته: فيض الخاطر، شرح قانون العقوبات الأهلي المصري، مبادئ الفلسفة المهدي والمهدوية، هارون الرشيد، حي بن يقظان، قصة الأدب في العالم، قصة الفلسفة اليونانية، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، البصائر والذخائر، العقد الفريد لابن عبد ربه، حياتي هذا الأخير هو محل دراستنا، هذه المؤلفات وغيرها التي قام أحمد أمين بتأليفها.

---

(1): معي المطيعي : موسوعة 1000 شخصية مصرية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، أفريل 2006م. ص: 43.

(2): يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبية الطبعة الألفية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت - لبنان، 2000م .ص: 260.

(3): منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، ط1، بيروت. لبنان، 1992م. ص: 66.

تلخيص سيرة حياتي لأحمد أمين:

ولد أحمد أمين في أول أكتوبر سنة 1886م على الساعة الخامسة وكان هذا التاريخ إرهاصا لكي يكون مدرسا فأول أكتوبر عادة بدء افتتاح الدراسة، عاش في بيت يغمره العلم والدين محكوما بالسلطة الأبوية، فقد كانت الأم لا تخرج إلا بإذنه، ولا يغيب الأولاد عن البيت بعد الغروب خوفا من الضرب، ومالية الأسرة كلّها في يده يصرف منها ما يشاء و كما يشاء، وهو الذي يتحكم فيما يأكلونه وما لا يأكلونه، ويحب تعليم أولاده بنفسه، فقد كان الوالد مدرسا في الأزهر وفي مسجد الإمام الشافعي، وقد كان كاتبنا القدير رابع الأولاد، لأن أباه لم يكن يحب كثرة الأولاد و له أخت في الثانية عشر من العمر بعثها والداها لتتعلم الخياطة والتفصيل والتطريز، وقامت يوما تعد القهوة لضيوف المعلمة فهبت النار،وللأسف فارقت الحياة بعد ساعات قليلة.

درس أحمد أمين بأحد الكتاتيب القريبة من المنزل وانتقل في أربعة كتاتيب لمدة خمس سنوات حفظ فيها القرآن الكريم والقراءة والكتابة على غراره من الأطفال في مثل طبقته. ثم خرج من هذه الكتاتيب ودخل المدرسة الإبتدائية اسمها مدرسة " أم عباس" أو كما تسمى رسميا " والدة عباس باشا الأول"، كانت مدرسة نموذجية، بنيت على أفخم طراز وأجمله. لبس بذلة بدل الجلباب ولبس طربوشا بدل الطاقية وأحس علوا في قدره، وخالط تلاميذ من الطبقة الوسطى والعليا، وكانت الدراسة في هذه المدرسة مجانية كما كانوا يجمعون التلاميذ مرتين في السنة ويذهبون إلى قصر والدة عباس لتوزع عليهم بذلتان، بذلة للشتاء وبذلة للصيف، ويخرجون إلى الشوارع إعلانا لما تسدي الوالدة من خير.

كما دخل أحمد أمين قسم الحفّاظ ،ثم قسم اللغة الفرنسية وأخذ يطبق برنامج أبيه المرهق بحذافيره، ينهض مع الفجر يصلي ثم يقرأ جزء من القرآن ويحفظ متنا من المتون الأزهرية كألفية " ابن مالك " في النحو، وعند طلوع الشمس يذهب إلى المدرسة حتى الظهر يذهب إلى مسجد شيخون القريب من المدرسة، حتى يستمع فقيه الكتاب، وجزء من القرآن وعند سماعه جرس المدرسة يذهب إلى الفصل وعند انتهائه من المدرسة يذهب إلى المسجد الذي أبوه إماما له، يمكث معه من المغرب حتى العشاء يسمع للدرس الذي يلقيه والده وفي طريق عودته إلى البيت يحفّظه بيتا أو بيتين من الشعر ، ثم يسأله عن إعرابه. كان متفوقا في اللغة العربية بفضل ما أخذه من

الدروس على يد والده، وفوق المتوسط في الحساب وضعيفا في اللغة الفرنسية، لأن والده لم يترك له الوقت لمذاكرتها.

دخل الأزهر وعمره أربعة عشر سنة، وكان أمرا من أبيه، تعلم تجويد القرآن وبعد الانتهاء من حصة التجويد يذهب إلى حصة النحو وبعدها الجغرافيا ،والحساب، وفي سن السادسة عشر تقدم للمشاركة في مسابقة للمدرسين وضعتها الجمعية الخيرية الإسلامية، ونجح فيها هو وثلاثة من المشاركين، وتمّ إرساله إلى طنطا لأنه كان في المرتبة الثالثة، وسافر إليها، وهو لا يعرف عنها شيئا لدرجة أنه لا يعرف كيف يركب في القطار، وبعد شهر من مكوثه في طنطا حتى طلب الرجوع إلى القاهرة ،وقدّم استقالته ،وعاد إلى الأزهر ،ولكنه لم يستسغ طريقته في التعليم، وفضل تدريس والده لأنه كان ذا خبرة كبيرة، وكان واضح العبارة قادرا على الإفهام من أخصر الطرق،

فرتب له دروسا في النحو، ودرسه اللغة العربية على أصولها، وقرأ له شرح الأجرومية للشيخ خالد، وكتاب قطر الندى وشذور الذهب لابن هشام وغيرها، وهو يقول بأن لأبيه الفضل الكبير في تعليمه اللغة وتفوّقه فيها، وبعدها درس في مدرسة وزارة المعارف وهي مدرسة راتب باشا بالاسكندرية وكان عمره ثمانية عشر سنة، لعل أعظم ما كسبه في الإسكندرية تعرفه على شخصية قوية كان لها أثر كبير في نفسيته كان أستاذا في اللغة العربية في مدرسة " رأس التين" الثانوية كان في نحو الثانية و الأربعين وكان أحمد أمين في الثامنة عشر، فصاحبه وتعلم منه كيف ينظر إلى الدنيا فقال:« كنت أجهل الدنيا حولي فعرفنيها، وكنت لا أعرف إلا الكتاب، فعلمني الدنيا التي ليست في كتاب» وقد اعتبر والده المعلم الأول وهدا الأستاذ المعلم الثاني.

وبعد سنتين في الاسكندرية سعى والده فعينه بمدرسة " والدة عباس باشا" في أكتوبر سنة 1906م، ولم يمكث في هذه المدرسة إلا سنة ،وفي سنة 1907م فتحت مدرسة القضاء الشرعي، وكان الغرض منها تخريج قضاة شرعيين، وشارك في الامتحان لكنه رسب بسبب معاناته من ضعف في البصر، لكن " عاطف بك بركات" قد قبل الخمسة الأوائل وكان هو الثالث ودخل مدرسة القضاء التي كان المشرف عليها " سعد باشا زغلول".

بدأ الدراسة بالقسم العالي من هذه المدرسة، ومدتها أربع سنوات يدرس فيها التفسير والتوحيد على يد رجال من خيرة الأزهريين وكان نظام المدرسة شاق عنيف، فليس هناك ملاحق، وليس هناك إعادة سنة، فمن رسب في أول امتحان آخر السنة رفض، وفي كل ثلاثة أشهر امتحان، ومن رسب في هذا الامتحان الثلاثي حرم من مكافأته، وهي جنيه ونصف كل شهر. كما قال

قضيت زماني في هذه المدرسة جدا لا هزل فيه وتعبا لا راحة معه لأن المدرسة كانت قاسية لا ترفيه فيها، فدرس في النهار وتحضير في الليل، وفي ذلك الوقت فتحت الجامعة المصرية الأهلية وكان يذهب لحضور محاضرات في الفلسفة الإسلامية ومحاضرات عن العرب وأخرى عن الجغرافيا العربية، ونجح في مدرسة القضاء وكان في المرتبة السادسة.

أما بيته فقد كان بيتا هادئا سعيد سعادة سلبية أي السعادة الخالية من الآلام، وكان شقيقه الصغير مرحا ذكيا مملوء بالحياة، كثيرا ما يثور على تقاليد البيت التي وضعها الأب، وكان متفوقا في المدرسة، وقد أصيب بحمى التيفودية ومات وعمّ المنزل الحزن لعدة أشهر، كما كان له شقيق في الخامسة والثلاثين من عمره وكان رجلا صالحا طيب القلب متزوج وله صبي وبنت وفي أحد أيام رمضان صلى صلاة التراويح كما كان يصلي وعاد إلى البيت يقرأ القرآن كما كان يقرأ وتسحر ونام، وبعدها سمعوا زوجته تصرخ ،وعمّ صراخها أرجاء البيت، وعندما ذهبوا إلى غرفته وجدوه ممدودا على الأرض، وعند مجيء الطبيب قال بأنه انفجار في المخ ،وبعدها بأيام توفي، وساد الحزن البيت مرة ثانية.

درّس في مدرسة القضاء بعد تخرجه منها بشهرين، درس فيها لمدة سنتين وبعدها أرسل إلى الواحات الخارجية في سنة 23 أبريل 1913 م، بقي فيها ثلاثة أشهر وزار فيها العديد من المناطق، وتعرف على العديد من الأشخاص،وقرأ كتب كثيرة أثناء أوقات فراغه مثل كتاب تاريخ الفلك عند العرب للأستاذ نللينو، وكتاب أصول الفقه للشيخ الخضري، وديوان الحماسة وشرحه، وبعد هذه الأشهر الثلاثة جاءه قرار بالعودة إلى مدرسة القضاء، درّس فيها دروس في الأخلاق والفقه والتاريخ والمنطق.

عاد إلى مدرسة القضاء كما كان ،ودرس فيها كما كان يدرس،ولكنه أحس فيما بعد بحاجته الشديدة إلى تعلم لغة أجنبية فدخل مدرسة تعلم الانجليزية عند سيدة بمائة وخمسين قرشا كل شهر وتعلم الانجليزية لكنه لم يتم الدراسة، وبحث عن مدرس آخر فوجد مس بَوَرْ (power) سيدة نحو الخامسة والخمسين من عمرها ذات ثقافة واسعة، تجيد الإنجليزية والألمانية، وهي رسامة فنانة، تعلم منها الانجليزية وكانت تعامله معاملة الأم لولدها علمته كيف ينظر إلى الحياة بطريقة إيجابية، وفي سنة 1916م تزوج أحمد أمين وأنجب عشرة أولاد وقد تعب كثيرا في تربيتهم، وتعليمهم فمنهم من كان مهندسا ومنهم من كان محاميا.

بقي أحمد أمين يدرس في مدرسة القضاء أربع سنوات، سنة في قويسنا، وسنة في طوخ، وسنتين في محكمة الأزبكية. وفي فترة القضاء هذه مات والده عن عمر يناهز الثمانين سنة إثر عملية جراحية، وفي سنة 1926م درس بكلية الآداب وقد هيأت الجامعة فرصة للرحلات خارج القطر، فسافر إلى باريس والى العراق. وسافر إلى الحج سنة 1937م مع بعثة الجامعة المصرية، وفي سنة 1932م سافر إلى هولندا كعضو في مؤتمر المستشرقين وذهب إلى انجلترا وبقي فيها أربعين يوما.

عيّن أستاذ مساعد بعد أن كان مدرس بكلية الآداب وأصبح عضوا في مجلس إدارة الكلية، وفي أبريل 1939م أصبح وزير المعارف وبعدها ترك العمادة بكلية الآداب بعد ذلك بدأ في إعداد الجزء الأول من ظهر الإسلام، والاشتراك في نشر كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ووضع مع الأستاذ زكي نجيب خطة في وضع كتاب قصة الفلسفة اليونانية ثم قصة الفلسفة الحديثة في جزأين، ثم قصة الأدب في العالم في أربعة أجزاء وفي سنة 1945م أصبح مديرا للإدارة الثقافية بوزارة المعارف لكنه استقال منها بسبب مرضه.

وفي سنة 1946م بعد سن التقاعد طلبت منه جريدة الأساس أن يكون رئيس التحرير فرفض وعمل في لجنة التأليف وفي الجامعة الشعبية، وفي دار الكتب، وفي المجمع اللغوي وعمل مديرا للإدارة الثقافية في الجامعة العربية.

كما أصيب بمرض في عينه، وهو انفصال الشبكية وتعرض لعملية جراحية أبعدته عن القراءة لعدة أشهر.

وفي سنة 1948م قرر مجلس كلية الآداب ومجلس جامعة فؤاد الأول منحه الدكتوراه، فلقب الدكتور أحمد أمين، وهذا لمن ينتج أحسن عمل أو إنتاج في الآداب والعلوم والقانون، وقد أقيم حفل في 28 فبراير1948 سلمت له الجائزة. وبعد هذا عاد إلى سلك التدريس في الجامعة مع الأستاذ محمد شفيق غربال وكيل وزارة المعارف، والأستاذ مصطفى عامر مدير جامعة فاروق.

هذه هي أهم الأحداث التي مرت على حياة أحمد أمين من صباه إلى شيخوخته إختصرناها في هذه الصفحات المعدودة.

منهجه والروعة الفنية:

1)- منهجه :

تعتبر سيرة أحمد أمين من أكمل السيّر لأنّه كتبها عام 1950م وتوفي عام 1954م أي أنه لم يعش فترة طويلة من بعد كتابته لسيرته فلم تطرأ أحداث جديدة في حياته.

فهو فيها يميل إلى ذوق المؤرّخين أقرب منه إلى ذوق الأدباء مثل: طه حسين...فانحدر في أغلب من تاريخ نفسه إلى تاريخ عصره، ولم يعن بأحداثه بل تحول مؤرخا يسجل، وهو في هذا التسجيل قلما انفعل بما يرى ويشاهد.(1)

وبذلك فإن المنهج أو الشكل الذي اتبعه أحمد أمين في كتابة سيرته هو المنهج التاريخي، وهو الذي ينهج فيه المؤلف نهج المؤرخ في تتبع سيرة حياته في شكل تصاعدي للأحداث، وبحيادية تامة، وكأنه يرصد حياة غيره فتفتقد البعد الداخلي للأحداث (2). فالكاتب هنا جاءت سيرته بشكل تصاعدي فقد بدأ بالحديث عن طفولته وهذا ما نجده في قوله:« كانت أول مدرسة تعلمت فيها أهم دروسي في الحياة بيتي »(3).كذلك في قوله: « في حجرة في هذا البيت ولدت، وكانت ولادتي في الساعة الخامسة صباحا من أول أكتوبر سنة 1886م »(4). وفي قوله: « عصرت ذاكرتي لأذكر أقدم أحداث طفولتي فذكرت منها ثلاثة. أولها أني وأنا في نحو الرابعة من عمري خرجت من حارتي فوجدت بناء وله باب مفتوح فدخلته....»(5).وقوله: « وحدث مرة أخذني والدي إلى المسجد بجوار بيتنا ليصلي ولم يكن بالمسجد غيرنا....توضأ وذهب يصلي، وبقيت أنظر إلى البئر والى الميضأة وأتجول بينها فتزحلقت قدمي وغرقت في الميضأة »(6) وقوله كذلك: « وبعد ذلك حدثت لي حادثة ثالثة، فقد مر بحارتنا قبل الغروب سائل يستجدي بالفن، فمعه دف يوقع عليه توقيعا

---

(1): شعبان عبد الحكيم محمد: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص : 57.

(2): المرجع نفسه. ص : 56.

(3): أحمد أمين: حياتي،

(4): المصدر نفسه. ص : 18.

(5): المصدر نفسه. ص : 29.

(6): المصدر نفسه. ص : 31-32.

لطيفا وينشد....أعجبني هذا وطربت له فتبعته، وخرج من حارتنا إلى حارة أخرى....فلما دخلت البيت أخذ يضربني من غير سؤال ولا جواب »(1).

وبعد حديثه عن الطفولة انتقل للحديث عن شبابه ودخوله عالم الشغل وكانت أول تجربة له في طنطا كمدرس للغة العربية فيقول: « .....ولو سمع شاب اليوم وسنه ستة عشر عاما كسني أنه سيسافر إلى سنغافورة أو طوكيو أو الملا يلما حمل الهم الذي حملت من أجل سفري إلى طنطا، فلم أركب القطار في عمري. ولا رأيت الأهرام، ودنياي هي ما بين بيتي والأزهر.»(2)

وخلال فترة الطفولة والشباب استطاع أحمد أمين أن يجعل من نفسه مثقفا كما يقول: « وانتهت مرحلة طويلة هي زهرة العمر تقريبا خمسة عشر عاما من سِنيّ الشباب بين طالب ومدرّس، نلت فيها أكثر ثقافتي، وجربت فيها أكثر تجاربي في الحياة، وتعلمت ما استطعت من العلم ومن الناس، ولقيت فيها أكبر الشخصيات التي أثرت في نفسي، وطبعت فيها بطابع لازمني طول حياتي....»(3).

ثم عرج للحديث عن سن الشيخوخة والأحداث التي صاحبته في هذه الفترة كما يقول: « وأحلت إلى المعاش بعد أن بلغت سن الستين، وكم كنت أتمنى أن أخرج من وظائف الحكومة وأنا في سن الكهولة لأعمل حرًا.» (4) وكذلك في قوله:« وعلى كل حال بقيت في الوظيفة إلى الستين وخفت من الفراغ الذي سأقابله إن خلصت من الوظيفة. » (5). وهكذا جاءت سيرة أحمد أمين متسلسلة يذكر فيها كل مراحل حياته بدأ من مرحلة الطفولة، ثم مرحلة الشباب حتى ينتهي بمرحلة الشيخوخة.

ونجد الدكتور إحسان عباس يؤكد على هذا بقوله: « والحقيقة أن أحمد أمين عاد بالسيرة الذاتية إلى التاريخ وابتعد عن الناحية الفنية التي تجعل من السيرة الذاتية ينبوعا يتدفق من النفس ويفيض على ما حولها »(6).

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 33

(2): المصدر نفسه. ص :74.

(3): المصدر نفسه. ص : 205.

(4): المصدر نفسه. ص : 317.

(5): المصدر نفسه. ص . 317

(6): شعبان عبد الحكيم: السيرة في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص : 57.

وبذلك يعتبر أسلوب أحمد أمين أسلوب سردي تقريري يقوم على القص والإخبار، وهو يعتمد فيه على المنهج التحليلي المنطقي نتيجة لثقافته الأزهرية والفلسفية. ونجد هذا فيما يقول: « فما أنا الاّ نتيجة ضحية لكل ما مرّ علي وعلى آبائي من أحداث، فالمادة لا تنعدم وكذلك المعاني....» (1).

ولما كان أسلوبه يعتمد المنطق والمقدمة التي تحتاج إلى النتيجة فإنه كان يوثقنا ببعض التشبيهات، كقوله:« وكانت الدراسة في الأزهر صعبة مملة طويلة لا يجتازها إلا من منح صبرا طويلا، واحتمل عبئا ثقيلا يطلب هذه الدراسة كثيرون ولا يتمها إلا القليلون، فيكونون كالماء يبتدئ نهرا كبيرا، ويمر أخيرا في قناة. » (2).

ونجد في سيرته هذه أنه يكثر ضمير"الأنا" لأن همه الأول على حد تعبير إحسان عباس أن: « يصف الخطوات الإيجابية التي أدت به إلى الوصول، وغايته أن يصف كيف وصل » (3). ونجد هذا في قوله:« وقد وضع لي أبي برنامجا مرهقا لا أدري كيف احتملته وكان يوقظني في الفجر فأصلي معه ثم أقرأ من القرآن وأحفظ متنا من المتون...» (4).

من خلال هذه الأمثلة يتبين لنا بأن أحمد أمين يكثر فعلا من ضمير الأنا وأنه كان مهتما بتبيان الخطوات الإيجابية في حياته التي جعلته يصل إلى ما وصل إليه وعلى ما أظن فإن هذا هو المغزى من كتابته لهذه السيرة.

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 09.

(2): المصدر نفسه.ص : 16.

(3): محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية. دراسة في التراجم والقصة في الطفولة: حياتي، زقاق المذق، دار الفكر، د.ط، دمشق، 1970م، ج5. ص : 75.

(4): حياتي. ص : 52.

2- الروعة الفنية:

ا- عذوبة الحديث:

إنّ الألفاظ والعبارات على نصاعتها تمتاز بنعومة وقد وصف نقاد الأدب من أقدم العهود عذوبة الحديث فوصفوه بحسن البيان وبذلك فإن الألفاظ التي اعتمدها أحمد أمين ألفاظ بسيطة سهلة، واضحة يستطيع أي قارئ فهمها، ولغته فصيحة مائة بالمائة ونجده قد اعتمد على بعض الألفاظ العامية المصرية في بعض المواقف التي صادفته مثل قوله:« فاستخرت الله وقلت سعادتلو أفندم، ولا أدري ماذا كتبت بعد...."سعادتلو".....أفندي....» (1).

والأستاذ أحمد أمين أعاد طبع كتابه مرّة ثانية، وطلب إليه أن يفسر بعض الكلمات في الطبعة الثانية لكنه لم يفعل، يقول مارون عبود:« وما أسفت لشيء في هذا الكتاب إلا لأن الأستاذ الجليل لم يشرح لنا بعض ألفاظ محلية مثل البوطة، وفرجية وأشباهها لأننا لا نستطيع فهمها لاختلاف مدلولها بين الأفكار ولعلّ الأستاذ يفعل ذلك عندما يعيد طبع كتابه » (2).

كذلك من هذه الألفاظ نجد كلمة البليلة وكلمة الطست في قوله:«.....اكتفيت بطبق من البليلة يجلس بائعها على قارعة الطريق وأمامه طست كبير مليء بالذرة المغلية الناضجة » (3).

هذه الألفاظ وغيرها التي استعملها الأستاذ أحمد أمين في سيرته لأنه يصف لنا حياته بأكملها العامة أي المرتبطة بعامة الناس والحياة العلمية المرتبطة بعمله وانجازاته الأدبية، لهذا نجد الكاتب قد أدخل هذه الألفاظ و ذلك حتى يقربنا من عالمه أكثر فأكثر، وبالرغم من دقة وصفه ووضوح كلماته إلا أننا نجد بعضا منها غير مفهوم كالتي ذكرناها سابقا فعلى رأي مارون عبود لو وضّح لنا أحمد أمين هذه الألفاظ لكان أفضل،وإنّ وجود هذه الألفاظ في سيرته يدل على شيء واحد هو أن أحداث سيرته مأخودة من الواقع، فنقل لنا أحداث حياته كما هي حتى الحوار الذي دار بينه وبين الشخصيات وإن كانت هناك بعض الألفاظ الدارجة،فقد كان بإمكانه أن يستبد لها بأخرى فصيحة،ولكنه تعمد ذلك ليثبت لنا بأن سيرته تجسيد للواقع الذي عاش فيه وأنه لم يصطنع أحداثها بل ذكرها كما هي .

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 76

(2): محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية دراسة في التراجم والقصة في الطفولة، حياتي، زقاق المذق .ص:75-76.

(3): المصدر السابق. ص: 63.

ب)- روعة التصوير:

و لا نعني هنا ما يعنيه البيانيون من الإجادة في تشبيه و استعارة أو مجاز ، بل نعني تصوير الوقائع والأحوال و الخوالج و التأثرات فكتاب أحمد أمين مرآة جلية لحياة كاتبه و لوسائل التعليم في زمنه و لعادات قومه و معتقداتهمْ .

و التصوير الأدبي قد يكون حسيّا أو معنويا و قد أجاد القدماء في كليهما و لكنهم لم يبلغوا فيه ما بلغه المحدثون من باب السيرة (1)

و هذه بعض الأمثلة من كتاب حياتي فيقول أحمد أمين واصفا الأزهر عندما دخله لأوّل مرة: «..... و أرى أبي يخلع نعليه عند الباب و يطويهما و يمسكهما بيده فأعمل مثل عمله ، و أسير بجانبه قليلا في ممشى قصير أدخل منه على إيوان كبير لا ترى العين آخره ، فرش كلّه بالحصير ، و امتدت أعمدته صفوفًا ، كل عمود وضع بجانبه كرسي عال مجنّح قد شدّ إلى العمود بسلسلة من حديد ، و جلس على كل كرسي شيخ معمم كأبي ، بيده ملازم صفراء من كتاب ، و أمامه حلقة مفرغة أحيانًا و غير مفرغة أحيانًا ، يلبس أكثرهم قباء أبيض أو جلبابًا أبيض عليه عباءة سوداء ، و أمامه أو بجانبه مركوبة ، و يمسك بيده ملزمة من كتاب كما يمسك الشيخ ،والشيخ يقرأ أو يفسر و الطلبة ينصتون أو يجادلون ، و بين العمود و العمود بعض الطلبة يجتمعون فيأكلون أو يذاكرون .

تخطيت هذه الجموع في غرابة ، و نظرت إليها في دهشة ، و أحيانًا أرى في بعض الأركان كُتّابا ككتّابي القديم ، فأفهم أن الأزهر امتداد للكُتّاب لا امتداد للمدرسة ، ثم نخرج من هذا الإيوان إلى فناء الأزهر أو صحنه كما يسمونه ، فأراه سماويا غير مسقوف ، و مبلّطا غير مفروش ، و هنا و هناك فرشت ملاءة بيضاء أو عباءة سوداء صفف عليها خبز ريفي و عرض في الشمس ليجفّ ، و سألت أبي فقال إنه بعض زاد المجاورين أحضروه معهم من ريفهم أو أرسله إليهم آباؤهم ، فهم يشمسونه ثم يختزنونه في بيوتهم ، هذا هو كل الأزهر كما رأيته لأوّل مرّة » (2)

---

(1) أنيس المقدسي: الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة. ص : 570 .

(2) أحمد أمين: حياتي. ص 59 – 60 .

وقوله كذلك في وصف باعة الفطور:«.....وأحسن ما كان في طريق باعة الفطور، فإن كان اليوم فقيرًا اكتفيت بطبق من " البليلة " يجلس بائعها على قارعة الطريق وأمامه طست كبير مليء بالذرة المغلية الناضجة، ووضع على نار هادئة حتى يبقى ساخنا، وبجانبه ماعون كبير مليء سكرًا ناعمًا، أشترى منه بربع قرش فيملأ لي طبقا من الطست ويرش عليه من السكر، وإن كان اليوم غنيا عطفت على دكان الفطير فأطلب من البائع فطير بقرش، فيقطع قطعة من العجين مكوّرة، ويدورها في لمح البصر، ويضعها في صحن ويأخذ بيده قليلا من السمن يرشه عليها، ويدخل الصحن في الفرن، وبعد دقيقتين أو ثلاث يخرجها ناضجة ناضرة ويضع عليها السكر، وتُقدم إليَّ على مائدة متواضعة لا بالنظيفة ولا بالقدرة، فآكلها في لذَّة ونهم فإذا فرغت منها تقدمت إلى الأمام خطوة أو خطوتين داخل الدكان فأرى مقطفًا صغيرًا مليء بالنخّالة. فأفرك يدي بها و آخذ منها فأدعك فمي وأحمد الله أكثر مما حمدته على البليلة.

وإن كان يوما وسطًا لا بالغني ولا بالفقير عطفت على رجل بالقرب من الأزهر، أبيض الوجه في حمرة، ضخم الجسم يلبس جلبابا مستديرا،وأمامه قفص عال مستدير،عليه صينية كبيرة من البسبوسة، قد أفرغ من وسطها مربع ثم ملئ سمنا. فأعطيه نصف قرش ويعطيني مربعًا من البسبوسة بعد أن يقطر عليها شيئا من السمن، وإذا أراد أن يكرمني اختار لي قطعة في وسطها لوزة مقشورة » (1).

وقوله كذلك في وصف صاحب له:«.....كان يكبرني بخمس سنين أو ست وكان رحمه الله بدينا مستدير الوجه طيب القلب مرحًا في أدب، تزوّج وترك زوجته وابنه في بلده وحضر الأزهر لطلب العلم.....كان مستنير الذهن لا يعبأ بما يقوله شيوخ الأزهر في الشيخ محمد عبده من رمي بالزندقة والإلحاد.....»(2).

وقوله كذلك في وصفٍ لأستاذ اللغة العربية في مدرسة "رأس التين" الثانوية (عبد الحكيم بن محمد):«.....كان في نحو الثانية والأربعين وكان طويل القامة، معتدل الجسم، جميل الوجه، ذا لحية سوداء، نظيفا في ملبسه أنيقا في شكله من غير تكلّف.اتصلت به فأعجبني من أوّل نظرة واتخذني أخًا صغيرًا واتخذته أخًا كبيرًا، وكان متدينًا، بل كان صوفيا يعتنق طريقة النقشبندية،

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 63- 64.

(2): المصدر نفسه. ص : 69- 70.

وهي طريقة ليس لها شعائر،....وكان- مع تصوفه هذا - واسع الأفق حرُّ الفكر،لا يدين بشيء من الخرافات والأوهام ويؤيد الشيخ محمد عبده في دعوته إلى الإصلاح، وكان في مدرسته محبوبا محترما يجله زملاؤه ورؤساؤه وتلاميذه، أبيّ النفس، عزوفا عن الصغائر، يعتمد في دروسه مع تلاميذه على الحب لا على الإرهاب.....حتى كان تلاميذه يسمونه الشيخ الإنجليزي لترفعه وحريته وصدق قوله وسعة فكره »(1).

هذه بعض الأمثلة عن طريقة الأستاذ أحمد أمين في التصوير، ولو أردنا الإستمرار في التمثيل لنقلنا معظم الكتاب فهو مليء يمثل هذه التصويرات الفنية.

ولكن بالرّغم من أنّ الأستاذ أحمد أمين كان دقيق الوصف واعتمد على ألفاظ عذبة وبعضها عامية لكنه لم يكن على قدر كاف من الدّقة في مواقف أخرى ذات أهمية كبيرة في حياته فجاء وصفه بسيطًا سطحيًا واعتمد على ألفاظ بسيطة تحمل في طياتها ملامح فنية.

وقد اعتمد أحمد أمين على الأسلوب التأريخي وهذا الأسلوب ترصد فيه الأحداث تصاعديا، وبأسلوب علمي صارم فلا مجال للخيال، فجاءت اللغة في سيرة أحمد أمين باردة صارمة دقيقة، الألفاظ على قدر المعاني، لأن أحمد أمين يهدف إلى توصيل أفكاره واضحة جلية، لا نجد فيها تصويرًا جميلا، لا موقف مجسدًا، ولا ذات منفعلة فتطبع الأحداث والأشياء بمشاعرها. وجاءت اللغة باردة خالية من النبض والإيحاء حتى المواقف التي تثير الوجدان وتلهب المشاعر جاءت باردة، لأنّ صاحبها يصف مثل هذه المواقف وصفا اخباريا وكأننا نقرأ خبرًا في جريدة.....فإفتقاد اللغة للنبض والحياة أخلّ بمبدأ المتعة الجمالية، التي تجعل القارئ يشارك صاحب العمل الأدبي في مشاعره وأحاسيسه ومواقفه من الحياة ويشعر في الوقت نفسه بلذة وهو يقرأ هذا العمل (2).

ومع تتبعنا لأحداث سيرة أحمد أمين لم نجد متعة جمالية أو فنية تجذبنا إلى الصفات الموالية. صحيح أنه دقيق الوصف ،ولكن ليس بالقدر الكافي فعلى ما نظن أنه لو مزج بين دقة الوصف واللغة الجميلة الموحية لكانت سيرته أفضل بكثير ولجذب القارئ إلى آخر صفحة من صفحات سيرته.

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص: 81- 82.

(2): شعبان عبد الحكيم محمد: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص: 62.

وعلى حسب رأينا فإن أحمد أمين كان يهدف من وراء كتابة سيرته أن ينقل للقارئ عوامل نجاحه وأهم انجازاته وما وصل إليه من مستويات الثقافة والدليل على هذا أنه لم يذكر لنا علاقاته الأسرية ولم يبرز لنا عاطفته اتجاه أخويه اللذان توفيا فقد مرّ على هذه المواقف والأحداث مرور الكرام وإذا قرأت سيرته تجده يصف بدقة شديدة ووصف شديد مراكز ثقافته كالكتّاب والمدرسة والأزهر ومدرسة القضاء الشرعي حتى الأشخاص الذين ساعدوه ولو مساعدة بسيطة نجده يصفهم بدقة حتى شكلهم الخارجي فلماذا لم يصف أخوته المقربين إليه؟ والجواب ربما أنه لم يجد داعيا من ذلك فلعلّ ذلك لا يفيده بشيء في تبيان ما وصل إليه من نجاح على المستوى الأدبي.

فلسفته:

يذهب كاتب كمارون عبود « بأنّ أحمد أمين ينحو في كتابته نحو العلماء والمفكرين في تحليل الأشياء وتمحيصها، ليخرج منها بالنتائج والغايات، يهمه أن يفيدك قبل أن يطربك ببلاغته، ويعنيه أن تخرج من كتابه مقتديا بنضاله »(1).

وفي الحق لم تكن لأحمد أمين فلسفة يهدف إليها من وراء نظريات يبسطها أو مبادئ يقررها، ولكن منحاه في تحليل الأشياء ودرسها في بعض مواطن من سيرته ليخرج منها بنتائج يمكن أن نقول أنه يعبر عن فلسفة ما، ففي المقدمة من سيرته، وهو بعد لم يغز السير فيها أراد أن يفلسف عن وجوده، فقال: ما أنا إلا نتيجة حتمية لكل ما مرّ عليّ وعلى آبائي من أحداث، فالمادة لا تنعدم، وكذلك المعاني، قد يموت الطير وتموت الحشرات والهوام، ولكنها تتحلل في تراب، فتغدي النبات والأشجار، وقد يتحوّل النبات والأشجار إلى فحم، ويتحوّل الفحم إلى نار، وتتحوّل النار إلى غاز ولكن لا شيء من ذلك ينعدم، من أشعة الشمس التي تكون الغابات، وتنمي الأشجار تختزن في الظلام، فإذا سلطت عليها النار تحولت إلى ضوء وحرارة وعادت سيرتها الأولى.

وكذلك الشأن في العواطف والمشاعر والأفكار والأخيلة، تبقى أبدًا، وتعمل عملها أبدًا، فكل ما يلقاه الإنسان من يوم ولادته، بل من يوم أن كان علقة، بل من يوم أن كان في دم آبائه، وكل ما يلقاه أثناء حياته، يستقر في قرارة نفسه، ويسكن في أعماق حسه، سواء في ذلك ما وعى وما لم يع وما ذكر وما نسي، وما لذ وما آلم، فنبحة الكلب يسمعها، وشعلة النار يراها، وزجرة الأب أو الأم يتلقاها، وأحداث السرور، والألم تتعاقب عليه – كل ذلك يتراكم ويتجمع، يختلط ويمتزج ويتفاعل، ثم يكون هذا المزيج وهذا التفاعل أساسا لكل ما يصدر عن الإنسان من أعمال نبيلة وخسيسة- وكل ذلك أيضا هو السبب في أن يصير الرجل عظيما أو حقيرا، قيما أو تافها – فكل ما لقينا من أحداث في الحياة، وكل خبرتنا وتجاربنا، وكل ما تلقته حواسنا أو دار في خلدنا هو العامل الأكبر في تكوين شخصيتنا.(2)

---

(1): محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية دراسة في التراجم والقصة في الطفولة: حياتي، زقاق المذق. ص: 68.

(2): أحمد أمين: حياتي. ص: 09- 10.

فإذا شرع في نسج قصة حياته، وسار قدما فيها، تحلّل من فلسفته العقلية، وأضاع عليك ما توقعته من هذا التقديم الذي ينبئ بروح الفلسفة والفلاسفة، ليدخل في تعقيبات فيها ملامح من التفكير الفلسفي ما كان أجمله وأعظمه لو دار من حوله، ووسع أفقه، انظر إلى هذه الخاطرة:(1)

كان أحد أخوالي سمحًا كريما، كثير الإحسان للفقراء، وقد منح بسطة في الرزق وسعة في النفس.

وأمّا خالي الآخر، فكان كزًا شحيحا مضيقا عليه في رزقه، ولست أدري: أكانت سماحة الأوّل سببًا في سعة رزقه، أم سعة رزقه سببًا في سماحته.؟ أنّي لست ادري أكانت كزازة الثاني سببًا في ضيق رزقه، أم كان ضيق رزقه سببًا في كزازته.(2)

وأمعن الفكر في هذه القاعدة:"... وهكذا ألاعيب القدر. ظلم صراف البلدة اخرج أبي من سمخراط وأسكنه القاهرة حيث ولدت وتعلمت، ولولا ذلك لنشأت فلاحا مع الفلاحين أزرع وأقلع، ولكن تتوالد الأحداث توالدا عجيبا، فقد ينتج أعظم خير من أعظم شر، كما ينتج أعظم شر من أعظم خير، ولا تستبين الأمور حتى يتم هذا التوالد ويظهر على مسرح الكون.(3)

لقد لعب أحمد أمين خلال كتابة سيرته ثلاثة أدوار، أول دور هو دور الكاتب من خلال أن هذا الإنجاز الأدبي ينجز من طرف الكتّاب، والدّور الثاني دور المؤرّخ من خلال اعتماده على التأريخ كمنهج في سيرته فجاءت سيرته تقريرية واقعية تسرد فيها الأحداث تصاعديا أمّا الدور الثالث وهو دور الفيلسوف المتصوّف فقد كان صاحب نزعة صوفية فعندما تقرأ سيرته تشعر وكأنك أمام كتاب لأرسطو أو هيجل أو كانط فتفلسف في وجوده فقال: ما أنا إلاّ نتيجة حتمية لكل ما مرّ عليّ وعلى آبائي من أحداث... الخ. تفلسف عن الموت عن الكون وعن النفس وكل ذلك جاء في قالب تعبيري رائع ولكن وأنت تسبح داخل فلسفته عن الكون والحياة وغيرها يأتي فجأة ويقطعك كما يقول الكاتب شعبان عبد الحكيم محمد فيضيع عليك ما توقعته من هذا التقديم الذي ينبئ بروح الفلسفة والفلاسفة. ويدخل في تعقيبات أخرى فيها ملامح من التفكير الفلسفي ما كان أجمله وأعظمه لو دار من حوله ووسّع أفقه.

---

(1): محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية دراسة في التراجم والقصة في الطفولة: حياتي زقاق المذق. ص : 70.

(2): أحمد أمين: حياتي. ص : 17.

(3): المصدر نفسه. ص : 14.

الشخصيات :

يعرّفها عبد المالك مرتاض أنها : « كائِن حركي حي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص ، دون أن يكونه » ، فيما يذهب البعض إلى تعريفها بأنها : « الكائن البشري المجسد لمعايير مختلفة أو أنها الشخص المتخيل الذي يقوم بدور في تطور الحدث » (1) .

و من المعروف أن الشخصية هي مزيج من عناصر بعضها وراثي و بعضها انعكاس للواقع الإجتماعي التي تنتمي إليه الشخصية ، و كلها تتصارع و تتفاعل – فتكون من تمازجها و تداخلها للشخصية التي أراد الكاتب تصويرها .

و ما يؤدي إلى رسم الشخصيات رسما عميقا هو الصدق الفني و هذه ميزة من مميزات سيرة أحمد أمين الذي اقتصر فيها على وصف الشخصيات من الجانب الخارجي و تعتبر شخصيته هي الشخصية الأساسية في سيرة حياته لأنّه يتحدّث عن نفسه و عن الحياة التي عاشها فهي شخصية نامية التي بدأت من الطفولة إلى الشيخوخة فكان يتطّور من موقف لآخر و يكشف لنا خبايا المجتمع الذي عاش فيه و الذي تطّور و نمى معه و قد رسم إلى جانب شخصيته الرئيسة شخصيات عديدة بعضها قريبة منه و أخرى بعيدة نوعا ما ،هذه الشخصيات قد تكون ملازمة له في حياته وأخرى قد التقى بها أثناء إنتقاله من حارته إلى مكان آخر . نذكر هذه النماذج من الشخصيات فيما يلي :

---

(1): نقلا عن وليدة بن طالب : سيرة بني هلال دراسة سردية مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي شعبة السرد القديم . ص : 56.

1/ العائلة :

الأب :

الذي كان يحكم العائلة و لا تمشي الأمور إلاّ بإذنه، يقول أحمد أمين « و كان بيتنا محكوماً بالسلطة الأبوية ، فالأب وحده مالك زمام أموره لا تخرج الأم إلاّ بإذنه ، و لا يغيب الأولاد عن البيت بعد الغروب خوفا من ضربه ، و مالية الأسرة كلها في يده يصرف منها كل يوم ما يشاء يشعر شعوراً قويا بواجبه نحو تعليم أولاده ، فهو يعلمهم بنفسه و يشرف على تعليمهم في مدارسهم سواء في ذلك أبناؤه و بناته. » (1) .

« و كان أبي مولعًا بالكتب في مختلف العلوم في الفقه و التفسير و الحديث و اللغة و التاريخ و الأدب و النحو و الصرف و البلاغة ، و إذا كان الكتاب مطبوعاً طبعتين : طبعة أميرية و طبعة أهلية لم يرتح حتى يقتنيه طبعة أميرية ، و قد مكنه عمله مصححًا في المطبعة الأميرية أن يقتني كثيرًا مما طبع فيها و كانت هذه المكتبة أكبر متعة حين استطعت الاستفادة منها ، و قد احتفظت بخيرها و اتخذته نواة لمكتبتي التي أعتزّ بها و أمضى الساعات فيها كل يوم إلى الآن »(2)

« ....و كان أبي مدرّسا في الأزهر و مدرّسا في مسجد الإمام الشافعي و إمام المسجد، و يتقاضى من كل ذلك نحو اثني عشر جنيها ذهبًا.....» (3)

« و يغمر البيت الشعور الديني ، فأبي يؤدي الصلوات لأوقاتها و يكثر من قراءة القرآن صباحًا و مساء، و يصحو مع الفجر ليصلي و يبتهل ، و يكثر من قراءة التفسير و الحديث و يكثر من ذكر الموت و يقلل من قيمة الدنيا و زخرفها ، و يحكي حكايات الصالحين و أعمالهم و عبادتهم و يؤدي الزكاة يؤثر بها أقرباؤه و يحج و يحج أمي معه – ثم هو يربّي أولاده تربية دينية فيوقظهم في الفجر ليصلوا و يراقبهم في أوقات الصلاة الأخرى و يسائلهم متى صلوا و أين صلوا. » (4)

---

(1) أحمد أمين: حياتي. ص : 19-20 .

(2) المصدر نفسه. ص : 18.

(3) المصدر نفسه . ص : 22 .

(4) المصدر نفسه . ص : 23 .

الأم :

« ... أمّا أسرة أمي فأصلها على ما روي لي من " تلا" من أعمال المنوفيه ، ولا أدري أهجرتها كما هجرتها أسرة أبي فرارًا من الظلم أو لشيء آخر .....» (1)

« كانت أمي طيبة القلب أقرب إلى السذاجة ، و كانت – كأكثر نساء وقتها – أمية لا تقرأ و لا تكتب ، و كانت محبوبة من أهل حارتها لطيب قلبها ، و كنت شديد الحب بها و الإشفاق عليها ، لأنها تألمت كثيرا في حياتها ، فقد مات ثلاثة من أولادها و هم في شبابهم ، و عاملها أبي معاملة شديدة قاسية ، سلبها كل سلطتها و كبت شخصيتها و حرمها دائرة نفوذها ، و طغى بشخصيته على شخصيتها ، فعاشت كسيرة القلب منقبضة النفس ، لا يحملها على البقاء في البيت إلاّ حبها لأولادها ، فكانت تحتمل ذلك كلّه و تطيل الإحتمال ، و تصبر و تطيل الصبر ، و تحنّ علينا ، و إذا غضب علينا أبونا احتمينا بحنانها و أنسنا بعطفها .

و لهذا لما كان لي من الأمر شيء جهدت أن أريحها و أسعدها و أقضي بعض دينها ، و كم كنت أتمنى أن تعيش معي بعد وفاة أبي لأطالع و جهها و أتلقّى دعواتها صباح مساء ، و لكن صممت أن تكون في حيّها بين جيرانها ، و خشيت أن ينالها أذى و لو قليل من العداد الطبيعي بين الزوجة و الأمّ ، فجارَيْتها على رأيها و خضعت لمشورتها .

فقدتها و أنا كبير و لي زوجة و أولاد ، و مع هذا أحسست بفقدها فراغًا لم يملأه شيء و بذلت جهدي في إراحتها ، حتى لما هرمت كنت لا أستريح في سفري إلى الإسكندرية للتصييف إلاّ إذا كانت معي ، أستبشر كل يوم برؤيتها و الجلوس إليها ، و مع هذا لا أرى أني قضيت لها بعض دينها ، و كانت تبشّرني من صغري بأنّي سأكون أسعد أولادها ، لأنّها رأت ليلة في منامها أني كنت بجانبها أسير معها ، فدخلنا بيتا فتح لنا فيه كنز ، و إذا غرف مملوءة ذهبًا ، فأمرتني أن أملأ حجري منه على عجل ، فقال لها الملك الموكل بالكنز : لا تعجلي فكل هذا لإبنك هذا ، ففرحت بهذا الحلم و اعتقدت صحته و استبشرت به ، و صارت تعيده عليّ في كل مناسبة و في جميع أدوار عمري إلى أن ماتت، سخية اليد على قلة ما تملك ، لا تعبأ بالمال إلاّ ما يضمن معيشتها ،

---

(1) أحمد أمين: حياتي. ص : 16

فلمّا ركنت إليّ و وثقت بي تنازلت عن مالها لأولادها ، لم أسمع منها يومًا تفكيرًا في تدبير مال ، و لا شكوى حال ، و لا حسدًا لغني و لا اعتراضًا على قدر ، شأنها في ذلك شأن أخوالي ، فليس منهم إلاّ من عاش عيشة طيبة و كسب كثيرًا و مات فقيرًا .

ساذجة في تفكيرها و في حدثيها و تصرّفها و في تصديق كل ما يقال لها.... و إن كان لي شيء من سذاجة و عدم حرص على مال و حزن على أني حزين و حسن ظن بالناس فيما يقولون و يفعلون و ندم على غضب و سرعة تحوّل من غضب إلى هدُوء و من سخط إلى رضا ، فذلك كله من أمي ، رحمها الله . » (1)

الجدّة :

هي التي عندها حكايات لا تنتهي ، و تحل البهجة على الأطفال عند مجيئها يقول أحمد أمين عن جدّته : « و قد كان لنا جدّة – هي أم أمنا – طيبة القلب شديدة التدين ، يضيء وجهها نورًا ، تزورنا من حين لآخر، و تبيت عندنا فنفرح بلقائها و حسن حديثها ، و كانت تعرف من القصص الشعبية – الريفية منها و الحضرية الشيء الكثير الذي لا يفرغ ، فنتحلّق حولها و نسمع حكاياتها و لا نزال كذلك حتى يغلبنا النوم ، و هي قصص مفرحة أحيانا و مرعبة أحيانًا ، منها ما يدور حول سلطة القدر و غلبة الحظ ، و منها ما يدور حول مكر النساء و دهائهنّ ، و منها حول العفاريت و شيطنتها ، والملوك و العظماء و ذلهم أمام القدر (الخ) ، و تتخلل هذه القصص الأمثال الشعبية اللطيفة و الجمل التي يتركز فيها مغزى القصة .» (2)

---

(1) أحمد أمين: حياتي. ص : 297- 298- 299 .

(2) المصدر نفسه. ص : 20– 21.

2/ الحارة:

الرجلُ الغني:

ينتمي إلى الطبقة العليا و هو نائب المحكمة العليا الشرعية و سيد الحارة يهابه كل الناس : « فالغني من الطبقة العليا كان شيخًا معمما . يدل مظهره على أنّه من أصل تركي ، و جهه أبيض مشرب بحمرة ، طويل عريض وقور دو لحية بيضاء ، مهيب الطلعة ، له عربة بجوادين ، يدقان بأرجلهما فتدق معها قلوب أهل الحارة ، هو نائب المحكمة العليا و سيد الحارة ، إذا حضر من عمله تأدب أهلها، فلا يرفع نساء الطبقة الدنيا أصواتهن،و إذا جلس في فناء بيته تأدب الداخل و الخارج ، و إذا تجرأت إمرأة على رفع صوتها أتى خادمه الأسود فأحضرها أمام الشيخ و زجرها زجرة لم تعد لمثلها ، و على ألسنتنا نحن الأطفال : الشيخ جاء ،الشيخ خرج . و بيته الواسع الكبير لا يشمل إلا سيدة تركية ، و خدمها من الجواري اللاتي كن مملوكات و عبيدًا سوداً . » (1)

القصّاص الشعبي :

و هو الشيخ أحمد الشاعر يقص على الناس حكايات جميلة مثل الظاهر بيبرس ، الزير سالم : « و كان من أعجب الشخصيات في حارتنا " الشيخ أحمد الشاعر " رجل بدقن طويل أسود ، يلبس جلبابا أبيض و عمامة و يتأبط دائما كتابًا لفّ في منديل أحمر ، له صوت أجش و وظيفته التي يعيش منها أنه بعد صلاة العشاء يذهب إلى مقهى قريب في الحارة و يصعد فوق كرسي عال يجلس عليه و يتحلّق حوله الناس ، ثم يفك المنديل و يخرج الكتاب و هو قصّة عنترة أو « الزير سالم » أو « الظاهر بيبرس » و يقرأ فيه بصوته العالي ، متحمسا في موضع التحمس متخاذلا في موضع التخاذل مفنيا بما يعرض من الشعر فإذا كان في القصة بطلان تحمس فريق لبطل و تحمس فريق لآخر ، و قد يرشوه أحد الفريقين ليقف في نهاية الجلسة على موقف رائع لبطله – و له أجر على ذلك من صاحب المقهى لأنه يكون سببًا لازدحام مقهاه بالزبائن. » (2)

---

(1) أحمد أمين : حياتي . ص 35 – 36.

(2) المصدر نفسه. ص : 39– 40.

المشعوذ:

« و لكن أعجب من هذا « الشيخ أحمد الصبّان » لقد كان يبيع الفحم في دكان على باب الحارة ، و كانت حالته لا بأس بها ، ثم دهمه الزمن الذي لا يرحم ، فعمى و كسدت تجارته و لم يجد له مرتزقا ، و هجر بيته الكبير و سكن حجرة أرضية هو و زوجته يأكلان من الصدقة ، فما هو إلاّ أن سكنت جسمه العفاريت ، و صار يغيب عن الوجود حينًا ، ثم يتغيرّ صوته العادي و يتكلّم بصوت جديد يخبر به عن المغيبات ، و إذا هو يصير الشيخ أحمد الصبّان ، بعد أن كان عم أحمد ، و إذا هو يشتهر في الحارة بأنّه يعلم الغيب و يخبر بالمستقبل و في قدرته بواسطة التعازيم و الأحجية أن يحبب الزوجة إلى زوجها و الزوج إلى زوجته ، و أن يخبر بالولد المفقود و بالمال المسروق ، ثم ينتقل الخبر من حارتنا إلى ما جاورها ،و إلى ما وراء ذلك فكان الناس يأتونه من مكان سحيق ليشهدوا عجائب الشيخ أحمد الصبّان . و اتسع رزقه و صلح حاله ، و انتقل من حجرته الضيقة إلى مسكن فسيح ، و انقسم فيه أهل الحارة قسمين : قليل منهم يقول انه نصّاب و كثيرون يقولون « سبحانه ما أعظم شأنه ، يضع سرّه في أضعف خلقه » (1)

طالب الأزهر (الصحبة الجديدة) :

يقول أحمد أمين « رزقت صحبة طالب آخر في الأزهر من (شبين الكوم) و لا أذكر كيف تعرّفت به و كان يكبرني بخمس سنين أو ست و كان رحمه الله بديناً مستدير الوجه طيب القلب مرحًا في أدب ، تزوّج و ترك زوجته و ابنه في بلده و حضر إلى الأزهر يطلب العلم ، و خلْفَ أهله لأبيه ينفق عليهم كما ينفق عليه - مع قلة دخله و ضعف حاله . كان هذا الطالب قد مر بالمرحلة الأولى الشاقة التي أمر بها و مرن على الطريقة الأزهرية و لقلقتها و فيهقتها .

و كان مستنير الذهن لم يعبأ بما يقوله شيوخ الأزهر في الشيخ محمد عبده من رمي بالزندقة و الإلحاد ، فكان يحضر دروسه في تفسير القرآن و يسمع منه كتاب دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة ، و كثيرًا ما ألحّ عليّ أن أحضر دروس الشيخ معه فآبى ، استصغارًا لعقلي مع عظم دروسه ، و لأنّ ذلك يضطرّني أن أبقى في الأزهر إلى ما بعد العشاء .إذ كانت دروس الشيخ

---

(1) أحمد أمين : حياتي . ص : 40.

تبتدئ ،بعد صلاة المغرب و تستمر إلى آذان العشاء ، و أخيرا تغلّب عليّ و شوّقني إلى دروسه لما كان ينقله إليّ من آرائه ، فحضرت درسين اثنين ، فسمعت صوتًا جميلا ، و رأيت منه منظرًا جميلا ، و فهمت منه ما لم أفهم من شيوخي الأزهريين ، و ندمت على ما فاتني من التلمذة عليه ، و اعتزمت أن أتابع دروسه ، و كان هذان الدرسان هما آخر دروسه رحمه الله .» (1)

أستاذ اللغة العربية :

و كما يقول :« و لكن أعظم ما كسبته في الإسكندرية ، تعرّفي شخصية قوية كان لها أثر كبير في نفسي – كتب إليه قريب لي يوصيه بي خيرًا – كان أستاذًا اللغة العربية في مدرسة رأس التين الثانوية ، تخرّج في دار العلوم ، و كنت في الثامنة عشر و كان في نحو الثانية و الأربعين و كان في ملبسه أنيقا في شكله من غير تكلّف ، اتصلت به فأعجبني من أوّل نظرة ، و اتخدني أخًا صغيرًا و اتخدته أخًا كبيرًا ، و كان متدينا ، بل كان صوفيا يعتنق طريقه النقشبندية و هي طريقة ليس لها شعائر ، ولا تقاليد ظاهرة للناس فالنقشبندي إذا ذكر الله ، ذكره بقلبه لا بلسانه ..... و كان في مدرسته محبوبًا محترمًا ، يجلّه زملاؤه و رؤساؤه و تلاميذه ، أبيّ النفس عزوفا عن الصغائر ، يعتمد في دروسه مع تلاميذه على الحب لا على الإرهاب ..... و لم يكن في درسه مدرّس لغة عربية و حسب ، بل مدرس تفكير و نقد للمجتمع ، و ما شئت من شؤون الحياة ، حتى كان تلاميذه يسمونه الشيخ الانجليزي ، لترفّعه و حريته و صدق قوله و سعة فكره.

صحبته فكان مكملاً لنقصي ، موسعا لنفسي مفتحا لأفقي،كنت اجهل الدنيا حولي فعرّفنيها،وكنت لا أعرف إلاّ الكتاب فعلمني الدنيا التي ليست في كتاب ، و كان أبي و شيوخي يعاملونني على أني طفل ، فعاملني على أني رجل ، فملأ فراغي ، و آنس وحدتي .....» (2)

« و على الجملة فلئن كان أبي هو المعلم الأوّل فقد كان هذا الأستاذ هو المعلم الثاني ، انتقلت بفضله نقلة جديدة و شعرت أني كنت خامدًا فأيقظني، و أعمى فأبصرني ، وعبدًا للتقاليد فحرّرني ، و ضيّق النفس فوسعني .....» (3) .

---

(1) أحمد أمين : حياتي . ص : 69-70 .

(2) المصدر نفسه. ص: 81 – 82.

(3): المصدر نفسه.ص:84

نموذج المدرس :

أستاذ اللغة الفرنسية:

« كان مدرّس اللغة الفرنسية بطيء الحركة، ثقيل اللسان، معوجّة، جاحظ العينين أحمرهما من أثر الخمر لا يكترث لدرسه و لا لتلاميذه، سواء عنده ذاكروا أو لم يذاكروا، تقدموا أو لم يتقدموا .» (1)

مدرّس الحساب :

« كفء في مادته ، مهتم بطلبته يبدل . أقصى جهده في درسه و لكنه غريب الأطوار ، يهيج أحيانا و يشتد غضبه فيضرب ، و قد يشتد ضربه فيكسر أو يجرح ،و يكون في منتهى اللطف والظرف أحيانا، فيستغرق في الضحك لأتفه سبب ، و قد يحدثنا عن دخائل بيته و أسرار نفسه مما لم تجر العادة بذكره»(2).

مدرس اللغة العربية:

«ومدرس اللغة العربية من الصنف الذي نسميه « ابن بلد » يحوّل كل شيء إلى نكتة، ونكتة رائعة،جميلة مؤدّبة ، لا يؤدي ، و لا يضرب ، و لكنه ينتقم أحيانًا من التلميذ بالسخرية و النكتة اللاذعة. » (3)

مدّرس الدين :

رجل سوري يلبس لباس الشامين ، جبّة وقباء ، و طربوش تركي معمم عمة سورية طويل عريض ،بدين ثقيل الروح يستثقله المدرسون و الطلبة على السواء ، و بعض المدرسين يحرضوننا على معاكسته ، فكنا نبذل جهدنا في حصته لاستخراج أفانين العبث به ، و نفرح لدرسه لأنه مثال للسخرية و الضحك. و مدرس الخط رجلٌ تركي جميل الوجه ، بهيج الطلعة ، له لحية بيضاء ، تستخرج من ناظرها الإكبار و الإجلال ، يلبس اللباس التركي الشرقي ، و يتكلّم العربية بلهجة تركية هادئ الطبع ، بطيء الحركة ، خافت الصوت لا يضرب و لا يؤدي و لا يسب و هو مع ذلك محترم ، ولا تسمع في حصته صوتا و ناظر المدرسة رجل طيب و لكن لا يفقه شيئا من أساليب التربية ، ضبط مرّة تلميذا سرق كرّاسا فأخذه و علّق في رقبته لوحة من

---

(1) أحمد أمين .ص : 55 .

(2) المصدر نفسه .ص : 55 .

(3) المصدر نفسه.ص:55.

الورق المقوى ، كتب عليها بخط الثلث الكبير « هذا لص» حتى إذا وقف الطلبة « في طابور» العصر أمسكه الناظر بيده ، و مر به على التلاميذ ليؤدبه و الحق أنه لم يؤدبه بل قتله ، فلم أر هذا التلميذ يعود إلى المدرسة بعد . وأغلب الظن أنّه انقطع عن المدارس بتاتا » (1)

الكتّاب :

« و شيخ قد لبس العمامة و قباء من غير جبة و بيده عصا طويلة، و مسمار كبير في الحائط علقت فيه « الفلقة» و هي عصا غليظة تزيد قليلا عن المتر. فيها ثقبان ثبت فيهما حبل، فإذا أراد سيدنا. ضرب ولد أدخلت رجلاه في هذا الحبل و لويت عليهما الخشبة، فلا تستطيع القدمان الحركة و نزل عليها سيدنا بالعصا » (2)

أساتذة الأزهر:

« ثم أذهب إلى حائط من حوائط الأزهر أجد بجانبه شيخًا طويلا ضعيف النظر، مصفرّ الوجه ذا لحية بيضاء ، اتفق أبي معه على أن يقرئني القرآن مجودًا ، فأقرأ ما تيسّر من القرآن على ترتيبه في المصحف و هو ينتقد ما أقرأ و ينبهني إلى مخارج الحروف ومقياس الغنة والمدّة. و يأمرني بإعادة ما قرأت، و في كل مرّة يصلّح لي أخطائي حتى يستقيم لساني حسب أصول القراءة » (3)

---

(1) أحمد أمين: حياتي. ص : 56 .

(2) المصدر نفسه . ص : 45 – 46 .

(3) المصدر نفسه . ص : 66 .

أساتذة مدرسة القضاء :

أستاذ أصول الفقه :

« درّس لنا أصول الفقه الشيخ محمد الخضري و كان لبقا لسنا ذكيا واسع الإطّلاع حاضر البديهة يجيد اللغة العربية و فروعها و التاريخ الإسلامي كما ورد في المؤلفات القديمة و العلوم الإسلامية كما تلقاها من شيوخه ، و له قدرة على استساغة ذلك وإخراجه في عبارة عصرية جديدة أقرب إلى الفهم » (1)

أستاذ اللغة العربية :

« و درّس لنا الشيخ محمد المهدي أدب اللغة العربية كان هذا الأدب حديث العهد في مصر ، فالناس لم يكونوا يعرفون الأدب إلاّ على النحو الذي جاء في مثل كتاب الأغاني و العقد الفريد و الأمالي و نحو دلك .» (2)

أستاذ الطبيعة :

« و هذا أحمد فهمي العمروسي بك ، و هو الذي تعلم في مصر و تعلم في سانكلو بفرنسا يدرس لنا الطبيعة ، فيشرح لنا النظرية و يطبقها في المعمل و يجعلنا نجرب التجارب ، و لا يضع في يدنا كتابا ، بل يكلفنا أن نكتب ما فهمنا و أن نرسم الأدوات التي استخدمناها .... » (3)

أستاذ التاريخ :

« و هذا علي بك فوزي الذي درس في مدرسة المعلمين و تخرّج في معاهد إنجلترا،يدرس لنا التاريخ- تاريخ اليونان والرومان أحياناً،وتاريخ أوروبا الحديث أحيانا،والتاريخ الإسلامي أحيانا- وهو رجل غريب بديع ظريف المظهر قصير القامة يخفي قصر قامته بطول طربوشه و علو جزمته . يحبذ الإنجليزية و الفرنسية و الفارسية و التركية » (4)

أستاذ الحساب:

« و هذا محمد بك زكي يدرّس لنا الحساب و الجبر و الهندسة و ينقلنا في ذلك خطوات سريعة، حتى نصل إلى اللوغاريتمات و الهندسة الفراغية و التوافيق و التبادل » (5)

---

(1) أحمد أمين: حياتي. ص 100 -101 .
(2) المصدر نفسه .ص : 101 .
(3) المصدر نفسه .ص : 103 .
(4) المصدر نفسه .ص : 103 .
(5) المصدر نفسه .ص : 103 .

أستاذ الأخلاق :

« وهذا عاطف بك بركات يدخل علينا يومًا فيجد الشيخ حسن منصور يدرس لنا الأخلاق من كتاب أدب الدنيا و الدين ، فلا يعجبه ذلك ، و يتولّى تدريس هذه المادة بنفسه من الكتب الانجليزيّ ، فيدرّس لنا أحيانا كتاب ما نكزي في علم الأخلاق ، و أحيانا كتاب مذهب المنفعة لجون ستيوارت مل.» (1)

نموذج انجليزي :

هي السيدة بور (power) الذي تعلّم على يدها اللغة الانجليزية « مس بور (power) سيدة نحو الخامسة و الخمسين من عمرها ضخمة الجسم مستديرة الوجه، يوحي مظهرها بالقوة و السيطرة ،بسيطة في ملبسها و زينتها ، مثقفة ثقافة واسعة، تجيد الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية .... تقبل أن تدرس لي درسًا في اللغة الانجليزية كل شهر بجنهين ، و لا تعاملني معاملة مدرّسة لتلميذ، بل معاملة أم قويّة لإبن فيه عيوب من تربية عتيقة ، ابتدأت أدرس معها الجزء الثالث من سلسلة كتب بيرليتر ، أقرأ فيها و تفسر لي ما غمض و تصلّح لي ما أخطأت ثم أضع الكتاب و أحدثها و تحدثني في أي موضوع آخر يعرض لنا ..... تدعوا بعض أصحابها الإنجليز من رجال و نساء إلى الشاي ، و تدعوني معهم لأتحدث إليهم و يتحدّثوا إلي، فأسمع لهجاتهم و يتعود سمعي نطقهم ، و أصغي إلى آرائهم و أفكارهم و أقف على تقاليدهم » (2)

---

(1) أحمد أمين: حياتي.ص : 104.

(2) المصدر نفسه .ص : 153 – 154.

من خلال هذا نجد أن علاقة السيدة بور بأحمد أمين قد أضافت لحياته أشياء جديدة أوّلها تعلّمة اللغة الإنجليزية و ثانيها تفتحه على ثقافات أخرى فنجده يقول « و توثقت الصلة بيننا فكأنني كنت من أسرتها ، و هي لا تعني بي من ناحية اللغة الإنجليزية و آدابها فحسب ، بل هي تشرف على سلوكي و أخلاقي و لاحظتْ فيّ عيبين كبيرين فعملت على إصلاحهما و وضعت لي مبدأين تكررهما عليّ في كل مناسبة .» ، و هذين المبدأين الأوّل نجده في قوله: « و رأتني مكتئب النفس منقبض الصدر ينطوي قلبي على حزن عميق ، ورأتني لا أبتهج بالحياة و لا يتفتح صدري للسرور فوضعت لي مبدأ هو« تذكر أنك شاب ، تقوله لي في كل مناسبة و تذكرني به من حين إلى حين » أمّا المبدأ الثاني « ... أنها رأت لي عينًا مغمضة لا تلتفت إلى جمال زهرة و لا جمال صورة و لا جمال طبيعة و لا جمال انسجام و تركيب فوضعت لي المبدأ الآخر « يجب أن يكون لك عين فنية » (1)

شخصيات سيرة أحمد أمين هي شخصيات تمثل المجتمع المصري الذي عاش فيه الكاتب، وتكوّن وارتبط بها، وكانت بعضها ملازمة له، فنجد بعضها لها دور كبير في حياته مثل والديه، الذي ورث من أمه نقص عينيه و بعض التصرفات مثلا قوله: « ساذجة في تفكيرها وفي حديثها وتصرفها وفي تصديق كل ما يقال لها... وإن كان لي شيء من سذاجة وعدم حرص على المال... فذلك كله من أمي رحمها الله ».

---

(1) أحمد أمين : حياتي . ص : 155 .

كذلك ما أخده من أبيه فبفضله وصل إلى المراتب العليا، ومن أساتذته وأصدقائه لكن هناك شخصيات دخلت سيرته ولم تكن لها أي دور في تسيير حياته وإنما من أجل تبيين ما كان عليه المجتمع المصري، وكان سائدا فيه مثل شخصية المشعود، والرجل الغني، والقصاص الشعبي...

ومن خلال هذه السيرة فإنها توجد شخصية نامية واحدة وهي شخصية الكاتب أحمد أمين والتي انطلقت معنا من بداية السيرة إلى نهايتها من الطفولة إلى الشيخوخة، وتتطور من موقف إلى موقف، فهو بين لنا أثناء التطور والنمو مجتمعه النامي، فكشف لنا حياته من ناحية ومجتمعه من ناحية أخرى وهذا ما رأيناه سابقا في بعض النماذج التي رسمها في سيرته.

تصوير البيئة والعادات:

1)- زحف المدنية:

لعلّ الميزة القوية في سيرة أحمد أمين التي لا يمكن لباحث أن يتغاضى عنها، هي دقة وصفه، وهو ينزع من هذا الوصف التصويري إلى الواقع سالكا الطريقة التقريرية التحليلية، فلا خيال ولا تزيّد، حتى أنه ليضع بين يديك صورة أمينة للحياة المصرية، من الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والنصف الأوّل للقرن العشرين.(1)

وكباحثتين نؤيد الكاتب في قوله هذا فأثناء قراءتنا لسيرة أحمد أمين وتتبعنا لأحداثها أحسسنا بأن أحمد أمين قد نقلنا إلى عالمه آنذاك، فأي قارئ لهذه السيرة يجد نفسه دون شعور داخل مصر وبالضبط داخل الحارة التي كان يعيش فيها وذلك لأنه كان دقيق الوصف بعيدًا عن الخيال ينقل لك الصورة والحدث كما هما دون زيادة ولا نقصان ومن دون استعمال الخيال والسجع أو غيرها من الصور البلاغية التي يستعملها معظم الكتاب.

وفي أثناء ذلك يصوّر زحف المدنية البطيء، فلنسر معه وهو يقدم صورة لهذا الزحف.

« ولم تكن المدَنية قد غزت البيوت، وخاصة الطبقة الوسطى أمثالنا فلا ماء يجري في البيوت، وإنّما هو سقّاء يحمل القربة على ظهره، ويقذف ماءها في زير البيت تملأ منه القليل وتغسل منه المواعين، وكلما فرغت قربة أحضر قربة. والسقاء دائم المناداة على الماء في الحارة، وحسابه لكل بيت عسير، إذ هو يأخذ ثمن مائه كل أسبوع، فتارة يتبع طريقة أن يخطّ خطّا على الباب كلّما أحضر قربة، ولكن بعض الشياطين يغالطون فيمسحون خطًّا أو خطّين، ولذلك لجأ السقاء إلى طريقة(الخرز) فيعطي البيت عشرين خرزة، وكلما أحضر قربة أخذ خرزة، فإذا نفدت كلها حاسب أهل البيت عليها .

وأخيرًا – وأنا فتى- رأيت الحارة تحفر، والأنابيب تمد والمواسير والحنفيات تركب في البيوت، وإذا الماء في متناولنا وتحت أمرنا، وإذا صوت السقاء يختفي من الحارة، ويريحنا الله من الخطوط تخط أومن الخرز توزع.

---

(1): محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية، دراسة في التراجم والقصة في الطفولة: حياتي، زقاق المذق. ص: 33.

وطبيعي في مثل هذه الحال أن لا يكون في البيت كهرباء،فكنّا نستضيء بالمصابيح تضاء بالبترول،ولم أستضئ بالكهرباء حتى فارقت حينا إلى حي آخر أقرب إلى الأرستقراطية.

وطعامنا يطهى على الخشب ثم تقدمنا فطهينا على رجيع الفحم(فحم الكوك) ثم تقدمنا أخيرا فطهينا على (وابور بريمس).

وكل أعمال البيت تقوم بها أمي، فلا خادم ولا خادمة، ولكن يعينها على ذلك أبناؤها فيما يقضون من الخارج، وكبرى بناتها في الداخل. (1)

وغزت المدنية المادية البيت، فنور كهربائي وراديو وتليفون، وأدوات تسخين وأدوات تبريد، وأشكال وألوان من الأثاث، ولكن هل زادت سعادة البيت بزيادتها؟.

وسفرت المرأة وكانت أمي وأخواتي محجبات – لا يرين الناس ولا يراهن الناس إلاّ من وراء حجاب- وهكذا من أمور الإنقلاب الخطير. (2)

نقل لنا أحمد أمين صورة مفصّلة عن الحياة المصرية مذ كان الماء يباع في القُرَب والطعام يطهى على الخشب حتى تطوّرت الحياة في الحارة ومدّت الأنابيب في البيوت واختفى صوت السقاء والطعام يطهى على الفحم ثم الوابور بدل الخشب، وأصبحوا يستضيؤون بالكهرباء بعدما كانوا بالمصابيح تضاء بالبترول وتطوّرت الحال وكثرت الأدوات المنزلية بأنواعها وألوانها، كالثلاجة والراديو والتليفون، وأدوات تسخين وأشكال أخرى من الأثاث، وخلاصة القول أن أحمد أمين نقل لنا صورة عن حياة مصر آنذاك بالتفصيل الممل فقد كان دقيق الوصف حتى في كيفية بيع الماء.

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص: 21-22.

(2): المصدر نفسه. ص: 25.

2)- الضرائب:

كانت الضرائب تتوالى وتسلب لقمة العيش من أفواه الكادحين، وتذل رقابهم حتى لا يجدون ملجأ الفرار هائمين على وجوههم – كما هاجرت أسرة أحمد أمين- ولكن أنىّ لهم ؟ والسياط تلاحقهم والفقر يجبرهم على الخنوع.(1)

« وأمّا الضرائب فلم تكن منظمة ولا عادلة، فأحيانا يستطيع أن يهرب الغني الكبير من دفعها أو يدفع القليل مما يجب عليه منها ويتخلص من الباقي بالرشوة أو التقرب إلى الحكام. ثم يطالب الفقراء المساكين بأكثر مما يحتملون فإن لم يدفعوا بيعت بهائمهم الهزيلة، وأثاث بيوتهم الحقيرة، ثم ضربوا بالكرباج وعذبوا عذابا أليما، فكان كثير منهم إذا أحسّ أنّه سيقع في مثل هذا المأزق حمل أثاث منزله على بهائمه وخرج هو وأسرته هائمين على وجوههم في ظلمة الليل، وتركوا أراضيهم ونزلوا على بعض أقربائهم أو على البدو في الخيام أو حيثما اتفق – فعلت ذلك أسرة على باشا مبارك، وفعلته أسرتي-، وأسر كثيرة من الناس.»(2)

من خلال ما ذكر أحمد أمين يتضح لنا بأن مصر كانت آنذاك تسودها الطبقات الأرستقراطية، ويكثر فيها الفقراء والأشقياء وكثيرا ما كان يعاني هؤلاء من ظروف الحياة الصعبة ومن احتكار الطبقة الأرستقراطية على كل شيء، ولعلّ أكبر عنائهم وأصعبه هو همّ الضريبة الذي ينغّص عليهم عيشتهم ويفسد عليهم هناءهم ، فمن المفروض أن يدفع الغني الضريبة أكثر مما يفترض على الفقير ولكن على العكس فهذا الغني الذي هو قادر على دفعها نجده يتهرب ويتملص من هذه الضريبة، إمّا بدفع بعضها وترك البعض الآخر بإسكات المسؤولين بالرشاوي أو ربما لا يدفعها أصلا خاصة إن كان مقرّبا من الحكام والمسؤولين.في حين تسلّط كل العقوبات على الفقير المسكين من جلد بالسياط، ومصادرة للأراضي والبهائم وحتى البيوت وتترك هذه الأسر مشردة دون مأوى، وخوفًا من ذلك يضطرون لبيع آثاثهم وبهائمهم، فكم قاسية هذه الحياة، وما أسوأ النظام المصري الذي تسوده العنصرية.

---

(1): محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية، دراسة في التراجم والقصة في الطفولة: حياتي، زقاق المذق. ص: 35.

(2): أحمد أمين: حياتي. ص: 13-14.

3)- تجارة الرقيق:

كانت تجارة الرقيق ما تزال إحدى السلع الكثيرة الرواج:« فقد كان في القاهرة أسواق وبيوت لبيع الجواري البيض والسود، يذهب من أراد الشراء، فيقلب العبد أو الجارية ويكشف عن جسدها ليرى إن كان هناك عيب، ثم يساوم في ثمن من أعجبه فيشتريه ويكون مُلكا له، وظلّ هذا الحال إلى عهد اسماعيل، فتدخلت الدول الأوروبية، ووضعت معاهده لإلغاء الرقيق، وأعتق كل مالك رقيقه، ومع ذلك بقي كثير من العبيد والجواري في بيوت أسيادهم للخدمة ونحوها.»(1)

مما قاله أحمد أمين ومن خلال الصورة التي نقلها عن مجتمعه المصري تبين لنا بأن المجتمع المصري كما قلنا سابقًا كانت تسوده الطبقة العليا أو البرجوازية بشكل واضح، فهذا المجتمع لا تزال تسوده بعض عادات الجاهلية وهي تجارة الرقيق التي حاربها الإسلام فالإنسان ملك نفسه وحرٌّ في كل تصرفاته ولا يحق لأي أحد أن يمتلكه كما يفعل كبراء مصر.

4)- الحالة الصحية:

يقول أحمد أمين عن الحالة الصحية السائدة في ذلك الوقت عندهم« كانت الحالة الصحية أسوا ما تكون، لا عناية بنظافة ماء ولا بنظافة أكل، وهم لا يعرفون طبيبا، وإنّما يمرض المريض فيعالجه كل زائر وزائرة- كلٌّ يصف دواء من عند العطّار جرّبه فنجح، والمريض تحت رحمة القدر، وقد يصاب أحدهم بالحمى فيزوره كل من أراد، ويسلّم عليه ويجلس بجانبه طويلاً، ويحدثه طويلاً، فتكون العدوى أمرًا سهلاً ميسوراً لذلك كان كثيرًا ما يختطف الموت أصدقائي من الأطفال حولي.»(2)

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص: 32.

(2): المصدر نفسه. ص: 41.

ويقول أيضا:« مرضت بحمى التيفود مرضًا شديدًا، حتى أشرفت على الهلاك ولم يكن هناك عناية بالمرضى كما يعنى اليوم، ولا يرضى الأهالي عن إرسال المريض إلى مستشفى الحمايات كما يرسل اليوم، ولا عزل له عن سائر من في البيت حتى لا تنتشر العدوى،ولا يستدعي طبيب مختص يشرف إشرافا دائما على العلاج – لا شيء من ذلك - ولكن فرشت لي حشية على الحصير، في وسط الغرفة كما كنت أنام، وترك أمري لله فلم يدع أهلي طبيبا، وكل ما في الأمر أن نفسي عافت الأكل فتركته. ومن حين لآخر تأتي عجائز الحارة فتصف لأمي وصفات بلدية للشفاء من المرض. فأقبلها حينا، وأرفضها أحيانا، ويزورني أبي قبل خروجه إلى عمله، فيجلس على رأسي، ويضع يده على جبهتي، ويقرأ الفاتحة، وآية الكرسي والمعوّدتين، ويختم ذلك بقوله: " حصّنتك بالحي القيوم الذي لا يموت أبداً ودفعت عنك السوء بألف ألف لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم." ثم ينفث في وجهي، وإذا عاد من عمله في المساء كرر هذا الدعاء، ونجوت منه بأعجوبة، بعد أن كان الموت أقرب إلي من حبل الوريد، ومكثت بعد ذلك مدّة طويلة في دور النقاهة.»(1)

إنّ الحالة الصحية في عصر أحمد أمين لم تعط لها أهمية كبيرة لذلك انتشرت الأمراض لكثرة الأوساخ، فكما قال لا اهتمام بنظافة ماء ولا بنظافة أكل ولا يعرفون طبيبا، فالنظافة كل شيء وإن غابت النظافة غابت الصحة، ولجهل الناس وخوفهم من كلمة مستشفى كان الكثير يموت على فراش المرض، وإن لم يمت فمعجزة من عند الله فإذا مرض أحدهم توصف له العقاقير والخلطات نجا من الموت وإن لم تفده سلّم أمره للقدر وهكذا يبقى على هذه الحال إلى أن يأتي الفرج من عند الله.

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص: 92.

5)- الخرافات:

وما أدراك ما الخرافات كانت تضرب أطنابها وتعيش في الرؤوس، والشعوذة تمتد هنا وهناك، يقول:« ومرّة شاهدت حفلة زار لسيدة تدّعي أنه ركبها عفريت سوداني، فاجتمع السيدات والأطفال، وحظرت شيخة وهي المسماة(بالكدية) وأعوانها من السيدات والرجال بطبولهم، وبدأو في الضرب على الطبل على نغمة" يا سلام سلم" فلم يتحرك أحد لأن الأعصاب لم تكن خمدت بعد، ثم طلب إلى الكودية أن تضرب نغمة على نغمة " صلوات الله عليه وسلم" فبدأ بعض الحاضرات يترنح ويقفز وبعضهن يرقص رقصًا بديعا على الأسلوب الحديث في الرقص فهن يهززن رؤوسهن ويدلين شعورهن مرّة، ويرفعن رؤوسهن ليدلين شعورهن مرّة أخرى وادّعت بعضهن - وقد يكون صحيحا – أنهن فقدن الوعي وأن حركاتهن تأتي عن غير شعور، وأطلق البخور في بيت صاحبة الزار مما هدّأ الأعصاب وحرك النفوس، ثم ذبح خروف وأفراخ وغمست بعض ثياب السيدة في الدم ووضعت عليها، وفي كل ذلك كانت تغني الكدية وأتباعها بأغان ذات كلمات أعجمية لم أتبينها، ومع المحاولات الكثيرة في أني أفقر كما يفقرن لم تتحرك أعصابي ولم تهتز نفسي، وكان منظرا غريبا جميلا وادعت سيدة الزار بعد ذلك أنها قد هدأت أعصابها وشفيت من مرضها، والظاهر أن مرضها كان مرض وهم وزال بالزار الذي هو عمل الوهم، وهكذا شاهدت في الحارة الزار والأفراح والمآتم واستفدت من كل ما سمعت وما رأيت.»(1)

من خلال ما ذكرناه سابقا يتضح لنا بأن المجتمع الذي كان يعيشه أحمد أمين تَسوده الخرافات و لكن ليس المجتمع المصري وحده الذي فيه مثل هذه الظاهرة فلا نذهب بعيدا فمجتمعنا الجزائري كثير الخرافات و الشعوذات و هدا إن دلّ على شيء انمّا يدل على الجهل و قلة العقل و نقص في الدين ، فكثير من النساء اللواتي يقصدن المشعوذين و المشعوذات و تتعدد المشاكل فقد تقصده من أجل الزواج و أخرى من أجل الأولاد و أخرى و أخرى و بقيت هذه الظاهرة متواصلة إلى عصرنا الحالي .

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص: 43-44.

6) مراكز الثقافة :

في الكتّاب :

يقول « اختار لي أبي أقرب كتاب ، يكاد يكون على باب حارتي ، و هو حجرة متصلة بالمسجد ، و بجانبها دورة مياهه ، و أثاث هذه الحجرة حصير كبير بال قد انسلت منه بعض عيدانه ، و زير فيه ماء يكاد يسودُّ من الوسخ ، عليه غطاء من الخشب ، قد ثبّت في غطاء حبل طويل ربط فيه كوز ليسقي منه الشارب ، و يتناول الكوز ليشرب منه النظيف و القدر و المريض و الصحيح ، و صندوق صغير من صناديق الجاز وضعت فيه ألواح بعضها صفيح قد صدئ و بعضها خشب قد زال طلاؤه ، كتب عليها بعض آيات القرآن بالحبر الأسود فلا تكاد ترى ، و شيخ قد لبس العمامة و قباء من غير جبة و بيده عصا طويلة ، و مسمار قليلا عن المتر ثقب فيها ثقبان ثبت فيهما حبل ، فإذا أراد سيدنا ضرب ولد أدخلت رجلاه في هذا الحبل و لويت عليهما الخشبة، فلا تستطيع القدمان حركة ، و نزل عليهما سيدنا بالعصا ، ثم عود من الجريد طويل يستطيع سيدنا أن يضرب به أقصى ولد في الحجرة ، و هذا كل أثاث الكتاب – نذهب إليه صباحا ، و نجلس على هذا الحصير متربعين متَلاصقين ، و يأخذ كل منا لوحة من الصندوق ، و كان لوحي جديداً ، إذ كنت مبتدءا ، و كان لسيدنا عريف يساعده في كتابة الألواح للأطفال ، و يقوم مقامه إذا غاب كما يساعده في مَدِّ رجل الطفل في الفلقة عند الحاجة ، و يقرأ كل تلميذ في لوحة حسب تعلمه ، هذا يقرأ ألف باء ، و هذا يقرأ سورة الفاتحة و هذا سورة تبارك و هذا ..... فإذا فرغنا من قراءة الدرس الجديد استمع لنا الماضي ، و هو ما حفظناه من القرآن في الدروس ، فإذا جاء وقت الغداء أخذ سيدنا من كل ولد قرشا أو نصف قرش أو مليما حسب مقدرته ، و بعث سيدنا العريف فأحضر له ما جورين أخضرين ، في أحدهما فول نابت و مرقة و في الآخر مخلل و مرقة ، و التف التلاميذ حولهما بعد أن أحضروا خبزهم الذي جاءوا به من بيوتهم و أخذت أيديهم تغوص باللقمة في مرقة الفول أحيانا ، و في مرقة المخلل أحيانًا ، و لا بأس أن يكون في الأولاد مريض و صحيح و قذر و نظيف و ملوث و غير ملوث فعلى الله الاتكال و البركة تمنع من العدوى . و إذا قرأنا وجب أن نَهتز و نصيح ، فمن لم يهتز أولم يصح لم يشعر إلاّ و العصا تنزل عليه فيصرخ و يصيح بالقراءة و البكاء معا و نبقى على هذه الحال إلى قرب العصر . فنخرج إلى بيوتنا ، و من حين لآخر يمرّ أبو الطفل على سيدنا فيسأله عن ابنه و يطلب منه أن « ينفض له الفروة » و هذا اصطلاح بين الآباء و فقهاء الكتاب أن يشتدوا على الطفل و يضربوه ، فلا تعجب بعد ذلك إذا وجدت أرواحًا

ميتة و نفوسًا كسيرة ، و من أجل هذا كان أكره شيء علينا الكتاب و اسم الكتاب و سيدنا بل أذكر مرّة أني كنت في البيت آكل مع أمي و اخوتي فما أشعر إلاّ و قد انتفضت من غير وعي ، لتوهمي أن عصا سيدنا علي ، لأنني لم أهتز ، و كان أكره ما أكره يوم السبت صباحا عند الذهاب إلى الكتاب ، و أحب ما أحب يوم الخميس ظهرًا لأنه سيلحقه يوم الجمعة و فيه لا كتاب .

و ختمت في هذا الكتاب ألف باء على طريقة عقيمة جدًا ، فأوّل درس كان ألف (ألف لام فاء) و هو درس حفظته و لم أفهمه إلاّ و أنا في سن العشرين إذ كان معنى ذلك كلمة الألف مركبة من ألف و لام و فاء ، من أجل ذلك كرهت هذا الكتاب و هذا التعليم و سيدنا ، و تنقلت في أربعة كتاتيب من هذا القبيل كلها على هده الصورة ، لا تختلف إلاّ في أن الحجرة واسعة أو ضيقة ، و أن سيدنا لين أو شديد ، وأنه أعمى العينين أو مفتوح العينين ، أمّا أسلوب التعليم فواحد في الجميع »(1)

نقل لنا أحمد أمين صورة موضّحة و مفصّلة عن الكتّاب الذي تعلّم فيه و حفظ فيه القرآن و تحدّث عن المعاناة التي كان يتلقاها من هذا الكتاب ، فالمجتمع المصري قديمًا و كغيره من المجتمعات يتبع طريقة تحفيظ القرآن و هي طريقة قديمة ، فيحفّظ الأولاد في الألواح التي يكتبها مساعد الشيخ فإمّا يحفظ سورة قرآنية أو يحفظ ألف باء إن كان مبتدئ و على حسب ما قال أحمد أمين فإن هذه الطريقة كانت جد قاسية و ذلك من العقاب الذي كان يلقاه كل طفل إن لم يحفظ جيدًا أو يهتز أو يرفع صوته ، و هذه الظروف أحدثت عقدة و رعبًا داخل نفسية أحمد أمين فكان أكره أيامه يوم يذهب إلى الكتاب و أحب أيامه يوم لا يذهب إلى الكتاب و من خلال الكلمات و التعابير التي وظفها أحمد أمين تتوضح لنا المعاناة و الظروف القاسية في الكتاب فنجد الفلقة و العصا التي يضرب بها الشيخ الأولاد ، و لكن من المفروض مكان لتعليم القرآن و تحفيظه لا يوجد فيه مثل هذا العنف خاصة مع جيل صغير لم يتجاوز سن الخامسة بعد فهذا الجيل يقابل بالحنان و اللّين كي نحبّب فيه طلب العلم لا نقابله بالفلقة و العصا على رأسه كلما أخطأ في نطق حرف أو لم يهتز أو لم يرفع صوته .

---

(1) أحمد أمين: حياتي. ص : 45 - 46 - 47 .

في المدرسة :

يقول أحمد أمين : « أحمد لأبي أن أخرجني من هذه الكتاتيب الكريهة و أدخلني مدرسة إبتدائية هي مدرسة « أم عباس » أو كما تسمى رسميا « والدة عباس باشا الأوّل» أو كما تسمى اليوم مدرسة بن باقادن . كانت مدرسة نموذجية و حليت سقوفها بالنقوش المذهبة، و في أعلى المدرسة من الخارج إطار كتب عليه آيات قرآنية كتبها أشهر الخطاطين بأحسن خطٍ، و موّهت بالذهب، فكان هذا الجمال الجديد عزاء ذلك القبح القديم.

و لبست بذلة بدل الجلباب ، و لبست طربوشا بدل الطاقية و أحسست علوّاً في قدري و رفعة في منزلتي و خالطت تلاميذ من الطبقة الوسطى أو العليا لا نسبة بينهم في نظافتهم و جمال شكلهم ، و بين أبناء الكتاتيب و أبناء الحارة .

كانت المدرسة يصرف عليها من أوقاف رصدتها عليها والدة عباس الأول فتلاميذها يدرسون بالمجان ولها بعض التقاليد الخاصة بها فيجمع بعض التلاميذ مرّتين في السنة ويذهبون إلى قصر الوالدة لتوزع عليهم بذلتان بذلة للشتاء وبذلة للصيف ثم يخرجون إلى الشارع بملابسهم الجديدة إعلانا لما تسدي الواقفة من خير، وفي المواسم يذهبون إلى مدفن الواقفة، ويقرؤون على روحها الفاتحة وما تيسر من الدعوات، ثم يوزع عليهم الفطير والحلوى.

وشهدت في هذه المدرسة ثلاث تطوّرات للتعليم ولعلّها كانت هي تطورات للتعليم في مصر، فقد كانت المدرسة لتعليم القرآن وشيء في الحساب واللغة العربية والتركية، ثم انكمش هذا النوع من التعليم فأصبح فصلاً واحدًا بعد أن كان يعمُّ المدرسة كلها وسمي قسم الحفاظ، وأنشأت بجانبه فصولٌ على النمط الحديث تعلّم فيها الجغرافيا والتاريخ والحساب مع اللغة الفرنسية، وقد نمت هذه الفصول حتى اكتسحت قسم الحفاظ، وشهدت بالمدرسة قبل خروجي منها منظرا جديدا، فقد رأيتهم يجمعون الطلبة الضعاف باللغة الفرنسية لينشئوا بهم فصولاً لتعليم اللغة الإنجليزية، ثم اكتسحت اللغة الإنجليزية اللغة الفرنسية».(1)

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص: 51-52.

هنا يتضح الفرق بين الكتّاب والمدرسة ومن خلال ما قاله أحمد أمين نلاحظ أنه مسرور لتخلّصه من الكتاب فيصف لنا مدرسته التي يدرس فيها بألفاظ عذبة مثل قوله: « بنيت على أفخم طراز، فرشت أرضها بالمرمر، وحلّيت سقوفها بالنقوش المذهبة.... فكان هذا الجمال الجديد عزاء لذلك القبح القديم...» ويقصد بهذا الأخير الكتاب الذي وصفه بالقبح فلا يوجد فيه شيء جميل مما وجده في المدرسة فلا مرمر ولا سقوف منقوشة كل ما فيه حصيرٌ بالٍ قد انسلّت منه بعض عيدانه وزير فيه ماء يكاد يسوّد من الوسخ وغيرها من الألفاظ الدالة على الاشمئزاز والكره لذلك المكان القبيح، الذي كان يحس فيه بالخوف والرعب خاصة من الشيخ على عكس المدرسة التي أحس فيها بالطمأنينة والرفعة وعلوٍّ في الشأن كما قال.

في الأزهر:

يقول أحمد أمين " ها أنا ذا في سن الرابعة عشرة تقريبا، يلبسني أبي القباء والجبة والعمة والمركوب بدل البذلة والطربوش والجزمة، ويكون منظري غريبًا على من رآني في الحارة أو الشارع، فقد عهدوا أن العمامة لا يلبسها إلا الشاب الكبير أو الشيخ الوقور، أما الصغير مثلي فإنما يلبس طربوشا أو طاقية، ولذلك كانوا كثيرا ما يتضاحكون علي إذا رأوني بالعمامة، وكثيرا ما أرى الأولاد في الشارع يتغامزون علي فأحس ضيقا أو خجلا أو أتلمس الحارات الخالية من الناس لأمرّ بها والمصيبة الكبرى كانت حين يراني من كان معي في المدرسة، فقد كان يظن أني مسخت مسخًا وتبديت بعد الحضارة، وكأن الذي يربط بيني وبينهم هو وحدة لبسي ولبسهم، لا طفولتي وطفولتهم، ولا زمالتي وزمالتهم، فنفروا مني مع حنيني إليهم، وسرعان ما انقطعت الصلة بيني وبينهم، فانقبض صدري لأني فقدت أصدقائي القدامى، ولم استغض عنهم أصدقاء جددًا، فكنت كالفرع قطع من شجرته أو الشاة عزلت عن قطيعها، أو الغريب في بلد غير بلدته، وتضرعت إلى أبي أن يعيدني إلى مدرستي فلم يسمع، وأن يعفيني من العمة فلم يقبل، ومما آلمني أني أحسست العمامة تقيدني، فلا أستطيع أن أجري كما يجري الأطفال، ولا أمرح كما يمرح الفتيان، فشخت قبل الأوان كالطفل إذا تشايخ كالشيخ إذا تصابى كلا المنظرين ثقيل بغيض، كمن يضحك في مأتم أو يبكي في عرس، ولم يكن أمامي إلاّ أن احتمل على مضض.

هذا أبي يأخذني معه صباح يوم فأسير في شوارع لا عهد لي بها، وأمشي فأطيل المشي، لا كما كان العهد يوم كنت في المدرسة، إذ كانت بالقرب من بيتنا. وأخيرا أصل إلى بناء كبير، فيقول لي أبي هذا هو الأزهر، ولا أدري كيف كان وقع هذه الكلمة على نفسي، فالأزهر شيء غامض لا

أعلم كنهه، ولا نظامه ولا منهجه، ولا مستقبله، أقدم عليه في هيبة وغموض، وأسمع عند الباب صوتا غريبا، دويا كذوي النحل يضرب السمع ولا تستوضح له لفظا، فتأخذني الرهبة مما أسمع، وأرى أبي يخلع نعليه عند الباب ويطويهما ويمسكهما بيديه فاعمل مثل عمله، وأسير بجانبه قليلا في ممشى قصير، أدخل منه على إيوان كبير لا ترى العين آخره، فرش كله بالحصير وامتدت أعمدته صفوفا، كل عمود وضع بجانبه كرسي عال، مجنح قد شذ إلى العمود بسلسلة من حديد، وجلس على كل كرسي شيخ معمم كأبي بيده ملازم صفراء من كتاب، وأمامه حلقة مفرغة أحيانا وغير مفرغة أحيانا، يلبس أكثرهم قباء أبيض أو جلبابا أبيض عليه عباءة سوداء، وأمامه أو بجانبه مركوبه، ويمسك بيده ملزمة من كتاب كما يمسك الشيخ، والشيخ يقرأ أو يفسر والطلبة ينصتون أو يتجادلون، وبين العمود والعمود بعض الطلبة يجتمعون فيأكلون أو يذاكرون. تخطيت هذه المجموعة في غرابة ونظرت إليها في دهشة، وأحيانا أرى في بعض الأركان كتابا ككتابي القديم، فأفهم أن الأزهر امتداد للكتّاب لا امتداد للمدرسة، ثم نخرج من هذا الإيوان إلى فناء الأزهر أو صحنه كما يسمونه فأراه سماويا غير مسقوف ومبلطا غير مفروش، وهنا وهناك فرشت ملاءة بيضاء أو عباءة سوداء صفف عليها خبز ريفي، عرض في الشمس ليجفف، وسألت أبي فقال، أنه بعض زاد المجاورين احضروه معهم من ريفهم أو أرسله إليهم آباؤهم، فهم يشمسونه ثم يخزنونه في بيوتهم. هذا هو أكل الأزهر كما رأيته لأوّل مرّة.

وفهمت من هذا أني سأكون أحد هؤلاء المتحلقين، وسأجلس على الحصير كما يجلسون، وأسمع إلى هذا الشيخ كما يسمعون، وآكل في ركن من أركانه كما يأكلون، وقارنت بين حصير الأزهر ومقاعد المدرسة، ومدرس الأزهر ومدرس المدرسة وفناء الأزهر حيث يشمس الخبز وفناء المدرسة حيث نلعب ونمرح، فكانت مقارنة حزينة وأخذت إلى رواق من أروقة الأزهر، وتقدمنا إلى شيخ أخد منا طلب الإلتحاق وامتحنني في القرآن فأحسنت الإجابة فقيدني طالبا" (1)

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 57- 58- 59- 60.

لقد كانت كلمة الأزهر شيء غامض لا يعرف أحمد أمين عنها شيئا، ولا يعرف نظامه ولا مستقبله، فقد أرغم على الذهاب إليه فلم يجد نفسه إلاّ وهو يرضخ لأوامر أبيه الصارمة فألبسه الجبة والعمامة والمركوب بدل البذلة والطربوش فكان منظره غريبا كل من يراه من أولاد حارته يتغامز ويضحك عليه مما سبب له إحراجا كبيرا فأخذ يلتمس الحارات الخالية يمر بها حتى أصدقاؤه الذين كانوا معه في المدرسة يستغربون لأمره وينفرون منه فخلف له حزنا عميقا وكبيرا وهكذا وجد أحمد أمين نفسه في عالم آخر يختلف اختلافا جذريا عن الذي كان فيه سابقا وهي المدرسة، ففيها كان يحس بمعنى الطفولة يلعب مع أصدقاءه وزملائه في فناء المدرسة في حين فناء الأزهر يشمس فيه الخبز الريفي فأخذ يقارن بين مدرّسي المدرسة ومدرّسي الأزهر وحصير الأزهر ومقاعد المدرسة فوجدها كما يقول مقارنة حزينة ولكنه مع مرور الزمن بدأ يتأقلم مع الحياة الجديدة وذلك في قوله «.. ولكن الزمن بلسم الهموم فقد أخذ يقطع كل صلتي بالمدرسة وبأصدقائي فيها، وينسيني ذكرياتي الماضية، ويشتغل قلبي بالحياة الحاضرة ويؤلف بيني وبين البيئة الجديدة» (1)

في مدرسة القضاء الشرعي:

« كانت الفكرة في مدرسة القضاء أن يثقف فيها الطالب ثقافة دينية، من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وتوحيد ونحو ذلك، وثقافة لغوية أدبية من نحو وصرف وأدب، وثقافة قانونية عصرية، من مثل أصول القوانين الحديثة ونظام القضاء والإدارة ونحو ذلك، وثقافة كما يسمونها عصرية من مثل: الجغرافيا والتاريخ والطبيعة والكيمياء والحساب والجبر والهندسة فكان برنامجها مزيجا من كل ذلك »(2)

« وكانت المدرسة في حضانة سعد باشا زغلول، يوليها عنايته وهو ناظر المعارف ويضع يده على كل رجال التعليم في نواحيهم المختلفة، فاختار لها ناظرا من أكفإ الناس وأقربهم إليه وهو عاطف بك بركات، واختار هو والناظر خيرة المدرسين من كل نوع من أنواع التعليم كما استعان

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 61.

(2): المصدر نفسه . ص : 96

بخيرة علماء الأزهر، ليدرسوا العلوم الدينية، فكنت ترى مزيجا عجيبا من الأساتذة، هذا نسيج أزهري تربى تربية أزهرية بحتة، ودنياه كلها الأزهر وما حوله بجانبه أستاذ للتاريخ على آخر طراز تخرج من جامعة انجلترا، وأستاذ للطبيعة تخرّج من أشهر جامعات فرنسا، وعلى رأسهم ناظر تعلم في الأزهر وفي دار العلوم في انجلترا، وكل من هؤلاء يلون الطلبة بلونه، ويصبغها بصبغته، ويعلمهم على منهجه».(1)

انتقل أحمد أمين من عالم الأزهر إلى عالم مدرسة القضاء الشرعي التي كانت في حضانة سعد باشا زغلول ومن خلال هذه السيرة لاحظنا بأنّ ثقافة أحمد أمين تنوعت وتعددت فنجده أخذ دروسا في كل أنواع العلوم في الدين واللغة والأدب والقانون والجغرافيا،التاريخ، الطبيعة، الكيمياء، الحساب، الجبر، الهندسة فقد كان برنامج المدرسة مزيجا من كل ذلك، واختير لهم أحسن وأكفا المدرسين من خريجي فرنسا وانجلترا فطبيعي أن يصل إلى ما وصل إليه.

سلطة الأب:

«كان البيت محكوما بالسلطة الأبوية، فالأب وحده مالك زمام الأمور لا تخرج الأم إلا بإذنه، ولا يغيب الأولاد عن البيت بعد الغروب خوفًا من ضربه، ومالية الأسرة كلها في يده يصرف منها كل يوم ما يشاء وكما يشاء، وهو الذي يتحكم حتى فيما نأكل وما لا نأكل، يشعر شعورا قويا بواجبه نحو تعليم أولاده فهو يعلمهم بنفسه ويشرف على تعليمهم في مدارسهم، سواء في ذلك أبناؤه وبناته وتعب في ذلك نفسه تعبا لا حدود له، حتى لقد يكون مريضا فلا يأبه بمرضه ويتكئ على نفسه ليلقي علينا درسه. أما إيناسنا وإدخال السرور والبهجة علينا وحديثه اللطيف معنا فلا يلتفت إليه، ولا يرى انه واجب عليه. يرحمنا ولكنه يخفي رحمته ويظهر قسوته وتتجلى هذه الرحمة في المرض يصيب أحدنا، وفي الغيبة إذا عرضت لأحدنا. يعيش في شبه عزلة في دوره العالي يأكل وحده ويتعبد وحده، وقلّما يلقانا إلاّ ليقرئنا » (2)

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 96- 97.

(2): المصدر نفسه. ص: 19- 20.

وبعد « فما أكثر ما فعل الزمان، وأصبح البيت برلمانا صغيرا ولكنه برلمان غير منتظم ولا عادل، فلا يوجد فيه الأصوات لا تتحكم فيه الأغلبية، ولمن يتبادل فيه الاستبداد فأحيانا تستبد الأم، وأحيانا تستبد البنت أو الابن وقلما يستبد الأب» (1)

من خلال ما قرأنا في سيرة أحمد أمين ونخصّ بالذكر هذا الجزء الذي يتحدث فيه عن أبيه وسلطته عليهم فلا سهر ولا سمر فحياة أحمد أمين كلها جدية لا لهو ولا مرح كل أوقاته يقضيها في الدراسة وقد اكتسب هذا الطبع من قسوة أبيه وجبروته فالمفروض أن تكون للأب روح الدعابة مع أولاده، يشعرهم بحنانه ويبدي لهم حبه وخوفه عليهم ولكن نجد العكس عند والد أحمد أمين ولكنه في الأخير يحمد لأبيه هذا التعب الذي تعبه عليه وان كان قاسيا في معاملته، فلربما لولا قسوة أبيه عليه وحثّه على طلب العلم لما وصل إلى ما وصل إليه،ولما داع صيته ولولا هذه القسوة والمعاملة الصارمة لكان أحمد أمين على ما نظن إنسانا عاديا لا يسمع به أحد.

البعد الاقتصادي:

يقول:«كان أبي يتقاضى من كل ذلك نحوي اثني عشر جنيها ذهبا، فلم نكن نعرف جنيهات الورق، وأذكر- وأنا في المدرسة الابتدائية- إن ظهرت عملة الورق فخافها الناس ولم يؤمنوا بها، وتندرت الجرائد الهزلية عليها، وكانت لا تقع في يد الناس- وخاصة الشيوخ- حتى يسرعوا إلى الصيارف فيغيروها ذهبا. وكانت الإثناعشر جنيها تكفينا وتزيد عن حاجتنا ويستطيع أبي أن يدّخر منها للطوارئ، إذ كانت قدرتها الشرائية تساوي الأربعين جنيها والخمسين اليوم، فعشر بيضات بقرش، ورطل اللحم بثلاثة قروش أو أربعة ورطل السمن كذلك وهكذا، ومن ناحية أخرى كانت مطالب الحياة محدودة ومعيشتنا بسيطة فأبي من بيته إلى عمله إلى مسجده ثم إلى بيته، لا يدخّن ولا يجلس على مقهى، وملابسنا جميعا نظيفة بسيطة ومأكلنا معتدل ليس بضروري تعدد أصنافه، ولا نأكل اللحم كل يوم، ولم نر فيمن حولنا عيشة خيرا من معيشتنا، نشقى بالطموح إلى أن نعيش مثلها، ولا سينما ولا تمثيل، ولكن من حين لآخر تنصب خيمة على باب حارتنا يلعب فيها « قره جوز» أدخل إليها بنصف قرش ويكون ذلك مرّة في السنة أو مرتين» (2)

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 26.

(2): المصدر نفسه. ص:22 – 23.

ألمّ أحمد أمين فيما سبق بكل جوانب حياته الاقتصادية من خلال صور مفصلة عن عائلته فذكر لنا اجر والده الذي كان يتقاضى اثني عشر جنيها ذهبا. وكانت هذه الجنيهات كافية وتقضي كل احتياجات الأسرة وأسرة أحمد أمين قليلة المطلب متواضعة بسيطة المأكل والملبس والده ليس ممن يرتادون المقاهي ولا ممن يدخنون ويقتنون الجرائد فمن المسجد إلى البيت، والقارئ لهذه السيرة يلاحظ أن أحمد أمين لا يذكر انه قد احتاج إلى شيء ولم يجده فلم يذكر انه جاع يوما أو عري أو حفي، وهذا يدل على انه كان راضيا على معيشته حامدًا ربه عليها وشاكرًا إياه. وأسرته ليست فقيرة ولا غنية بل هي أسرة متواضعة بسيطة.

البعد الديني:

كان البيت يسطر عليه الشعور الديني يقول: «ويغمر البيت الشعور الديني فأبي يؤدي الصلوات لأوقاتها ويكثر من قراءة القران الكريم صباحا ومساء، ويصحو مع الفجر ليصلي ويبتهل، ويكثر من قراءة التفسير والحديث، ويكثر من ذكر الموت ويقلل من قيمة الدنيا وزخرفها، ويحكي حكايات الصالحين وأعمالهم وعبادتهم، ويؤدي الزكاة يؤثر بها أقرباءه، ويحج، وتحج أمي معه – ثم هو يربي أولاده تربية دينية فيوقضهم في الفجر ليصلوا، ويراقبهم في أوقات الصلاة الأخرى، ويسألهم متى صلّوا وأين صلّوا. وأمي كانت تصلّي الحين بعد الحين- وكلنا يحتفل برمضان ويصومه- وعلى الجملة فأنت إذا فتحت باب بيتنا شممت منه رائحة الدين ساطعة زاكية»(1) .

لعلّ أيّ قارئ لسيرة أحمد أمين يلاحظ مدى تدين أسرته ومدى ارتباطها الوثيق بالله، فالصلاة تؤدى في وقتها فلا تقصير ولا تأخير خاصّة بوجود مراقب كوالد أحمد أمين الذي لا تفوته صلاة ولا صيام ولا حج يكثر من قراءة القران ويكثر من ذكر الموت ويقلل من ذكر الدنيا وزخرفتها ذلك حتى لا ينغرّ بها أولاده فرباهم تربية دينية، وقد انعكس هذا الجانب الديني على مؤلفات أحمد أمين فلكثرة تدينه جاءت مؤلفاته تقريبًا كلها تدور حول الدين فنجد ضحى الإسلام، يوم الإسلام والأخلاق، ظهر الإسلام وغيرها من المؤلفات فقد ألقى كل تركيزه على الجانب الديني. وما أكثر حاجتنا اليوم إلى مثل هذه المؤلفات.

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 23 – 24.

التصوير النفسي لشخصية أحمد أمين:

لقد صادف أحمد أمين مواقف كثيرة خلال حياته أثرت في نفسيته ولربما كان لها أثر في شخصيته.

الصورة الأولى:

يصوّر أحمد أمين شعوره الحزين إزاء آفة قصر النظر وضعفه لدرجة تقرب من العمى، وتعليله لذلك تعليلا نفسيا، كان مدعاة لأن يحجب شيئا من الصراحة، وأن يمسك عن الاعتراف والبوح بذات النفس، ولا يجد سبيلاً غير التخفّي والابتعاد عن ذكر أشياء يراها مخجلة.

وتذكرنا هذه الآفة بعاهة طه حسين، فبينما كانت آفة أحمد أمين سببا في الإمساك عن الكلام، كانت عاهة طه حسين سببا في الانطلاق والإفشاء لابنته بشعوره وإحساسه، حتى ليبدو من كلام أحمد أمين وكأنه يغمز طه حسين في مقارنته بين قصر النظر والعمى.(1)

يقول أحمد أمين:« لقد كانت أمي قصيرة النظر فورثت عنها قصر النظر، ولقيت من عنائه في حياتي الشيء الكثير، فإذا تقدمت للدخول في دار العلوم حرمت من ذلك لقصر نظري، وإذا تقدمت للدخول في مدرسة القضاء فكذلك، إلاّ أن تحدث المعجزة، وإذا أريد تثبيتي في وظيفة سقطت في امتحان النظر، ولم أثبّت إلاّ بمعجزة أخرى، وتحدث أحداث كثيرة مخجلة وغير مخجلة نتيجة لقصر نظري، فقد لا أسلّم على أحد يجلس بعيدًا عني فيظن بي الكبر، وقد أكون على موعد في مقهى فأدخل ولا أدري من واعدتهم إلاّ أن يروني، وقد أمرّ في الشارع علي من أنا في حاجة إليه فلا أراه. وقد أحب أن أذهب إلى السينما أو التمثيل- للاسترواح- فلا أذهب.

وهكذا من أحداث سيئة لا تحصى صادفتني في حياتي إلى أن اضطررت منذ شبابي إلى لبس نظارة، وكنت من سنة إلى أخرى أغير النظارة بأخرى أسمك منها، حتى صارت في آخر الأمر نظارة سميكة واعتادت عيني هذه النظارة. وكانت لها كذلك سيئات، فإذا انكسرت أو نسيتها في البيت صرت كأني أعمى وقد رأيتني فيما بعد أحتاج إلى نظارتين، نظارة للقراءة ونظارة للسير والعمل. ولا تسأل عن متاعب ذلك. ومع قصر النظر هذا، كان النظر القصير نعمة كبيرة إذا قارنت بينه وبين العمى. فكل الأشياء الجوهرية من رؤية أشخاص ورؤية مناظر جميلة، كان يكفي

---

(1) محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية. دراسة في التراجم و القصة في الطفولة : حياتي ، زقاق المذق . ص : 58.

قصر نظري في إدراكها. وربما كان هذا عاملاً من عوامل حبّي العزلة حتى لا أقع في مثل هذه الأغلاط، ولكن أحمد الله أن كان نظري على قصره سليما، فقد احتملني على كثرة قراءتي ومداومة النظر في الكتب حتى جاوزت الستين .»(1)

الصّورة الثانية:

تحليله لمظاهر الحزن التي اكتست بها حياته وردها لحادثة حريق وقعت لأخته: « قامت يوما تعد القهوة لضيوف المعلّمة، فهبّت النار فيها، واشتعل شعرها وجسمها وحاولت أن تطفئ نفسها أول الأمر فلم تنجح فصرخت، ولكن لم يدركوها إلاّ وهي شعلة نار، ثم فارقت الحياة بعد ساعات، وكان ذلك وأنا حَمْل في بطن أمي، فتغذيت دما حزينًا، ورضعت بعد ولادتي لبنًا حزينًا، واستقبلت عند ولادتي استقبالاً حزينًا، فهل كان ذلك أثر فيما غلب علي من الحزن في حياتي، فلا أفرح كما يفرح الناس، ولا أبتهج بالحياة كما يبتهجون، علم ذلك عند الله والراسخين في العلم »(2)

الصورة الثالثة:

قصة العشق العذري يقول: «جاءني صديق، وقال إنّه يعرف أسرة انجليزية، تتكون من زوج وزوجة يريدان أن يتعلما العربية ،أنا أعلّم الزوج فهل لك أن تعلّم الزوجة قلت: لا أعلّمها بمال ولكن أتبادل معها، فأعلمها العربية وتعلمني الإنجليزية، وعرض عليها ذلك فرضيت.

سيدة انجليزية في ريعان الشباب جميلة الطلعة لها عينان تبعثان في النفس معنى الصفاء والطهارة والثقة، تعيش مع زوجها الإنجليزي المدرس بالمدرسة الخديوية الثانوية عيشة ارستقراطية فخمة، مولعان بركوب الخيل والترويض عليها عصر كل يوم، يستمتعان بالزواج الجديد السعيد كنّا نقضي ساعتين في الدرس مرتين في الأسبوع ساعة تعلمني الانجليزية ، وساعة أعلمها العربية واختارت لي أن أقرأ معها كتاب «قصص شكسبير» وكنت أرتقب موعد هذا الدرس بشوق ولهف، وكانت هذه السيدة تغدي عواطفي برقتها وجمالها وكمالها، كما كانت «مس بور» تغدي عقلي بثقافتها واطلاعها وتجاربها »(3).

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص : 25 – 26.

(2): المصدر نفسه . ص : 19.

(3): المصدر نفسه . ص 158.

الصورة الرابعة:

وكانت عواطفه فيها باهتة، حيث يقول: «ولست أنسى ليلة - وأنا في الإسكندرية- أقام فيها أحد أصحابنا وليمة عشاء على سطح منزله (وكان ذلك في يوم 27 يونيو سنة 1906)، فجاءت الجرائد وفيها الحكم على أربعة أهالي دنشواي بالإعدام وعلى اثنين بالأشغال الشاقة المؤبدة، وعلى واحد بالسجن خمس عشرة سنة، وعلى ستة بالسجن سبع سنين، وعلى خمسة أن يجلد كل منهم خمسين جلدة ،فتنغّص عيشنا وانقلبت الوليمة مأتما ،وبكى أكثرنا، ومن ذلك اليوم أصبحت عواطفي مع اللّواء لا مع المؤيد ولا مع المقطم » (1).

الصورة الخامسة:

وفيها نتحدث عن عاطفته الأسرية فلا نجده يتحدث عن علاقته بإخوته ولا علاقته بأبيه وأمه حتى في وفاة أخويه لم يصف لنا هذين الحدثين المهمين، ولم نلحظ وصفًا ملمًا وكافيا بمرض أخيه بل مرَّ على ذلك مرور الكرام وكأن هذا الشخص لا يعنيه أو كأنه شخص يعرفه ولكن ليس بالمقرّب إليه فيصف الموقف قائلا:« هزّ الطبيب رأسه.....ثم قال إنها الحمى التيفودية والحالة خطيرة.....اشتد عليه المرض، واشتد منا القلق، وانقبضت نفسي انقباضا شديدا.....واشتد الحال سوءًا، وأخيرا بعد كرب شديد لفظ نفسه الأخير وقامت قيامة البيت وامتلأ البيت عويلاً وصراخًا ». وجاء سرده لموت أخيه الثاني أكثر برودًا من الأخ الأوّل، ويسرد هذا الجزء قائلاً: « وأصيب ثانيا أشد مما أصيب أوّلاً واستحضرت له الطبيب نفسه فقلب كفيه يخبرني أن لا أمل ، وكانت النهاية، وكان الحزن شديدًا وكانت المصيبة قاسية »

ومقارنة بسرد طه حسين لموقف موت أخيه يظهر لنا الفارق البعيد، طه حسين يعيش الموقف من الداخل ويتحسسه في كل أبعاده وأحمد أمين يخبرنا وكأنه قرأه في جريدة. طه حسين يصور ويجسد ويتوغل إلى أعماق النفس، أحمد أمين يرصد للحدث الرصد البارد الميت، يقول طه حسين:« كانت الدار هادئة مفرطة في النوم كبارها وصغارها،.... ولكن صيحة غريبة ملأت هذا الجو الهادئ فهب لها القوم جميعًا.... وكان مصدر هذا كله صوت هذا الفتى وهو يعالج القيء، وكان الفتى قضى ساعة أو ساعتين يخرج من الحجرة على أطراف قدميه، ويمضي إلى الخلاء

---

(1): أحمد أمين: حياتي. ص :

مجتهدًا ألا يوقظ أحدًا، حتى إذا بلغت العلة منه أقصاها لم يملك نفسه، ولم يستطع أن يبقى في لطف فسمع أبواه هذه الحشرجة، وفزع معها أهل الدار جميعا.... في أثناء ذلك كانت أمّ الفتى مروعة جلدة مؤمنة.....» ثم يتابع الموقف لحظة لحظة مصورا جو البيت والحزن الكئيب الذي أحاط به، وهدوء حشرجة الفتى، ثم رجوعها ومجيء الطبيب وتضوّر الفتى ألمًا إلى أن « القي الفتى نفسه على السرير، وعجز عن الحركة وأخذ يأن أنينا من حين إلى حين، وكان صوت هذا الأنين يبعد شيئا فشيئا، وأن الصبي لينسى كل شيء قبل أن ينسى هذه الأنة الأخيرة التي أرسلها الفتى نحيلة ضئيلة طويلة ثم سكت ».

فطه حسين يصوّر موقف الفتى في لحظاته الأخيرة، إنه يعيشنا سطوة الموت وجبروته لنعيش معه المأساة. أمّا أحمد أمين فهو يخبرنا إخبارا وكأن الموقف لم يمسه من قريب أو من بعيد، حتى عندما أصيب في نهاية حياته بانفصال في الشبكة واستدعى الأمر إجراء عملية جراحية حالت دون الرؤية لمدة شهرين، يقص علينا الخبر مجردًا من أحاسيسه ومشاعره. وعندما أخبره الطبيب هذا الخبر يقول:« وأكبر ما جال في نفسي شعوري بحرماني من القراءة والكتابة مدى طويلاً، وأنا الذي اعتاد أن تكون قراءته وكتابته مسلاته الوحيدة » (1)

كما نجده قد ذكر لنا موت أمه وأنه حزن عليها حزنًا شديدًا فيقول: « فقدتها وأنا كبير ولي زوجة وأولاد، ومع هذا أحسست بفقدها فراغًا لم يملأه شيء وبذلت جهدي في إراحتها، حتى لما هرمت كنت لا أستريح إلى سفري إلى الإسكندرية للتصييف معها إلاّ إذا كانت معي وأستبشر كل يوم برؤيتها والجلوس إليها.....» (2)

لقد صور لنا أحمد أمين أحداث كثيرة معظمها حزينة في حياته ، وقد ردّ هذا الحزن الذي اكتسى حياته إلى حادثة وفاة أخته بينما كان في بطن أمه، وربط حالة العزلة التي يعيشها إلى قصر نظره التي سببت له إحراجا كبيرا فأصبح يحب العزلة ولا يخرج أمام الناس، وأحمد أمين كغيره من الكتاب مرّ بمرحلة تدفق المشاعر واعترف وصارحنا بقصة العشق العذري الذي أحس به مع امرأة انجليزية فكما قال كانت هذه السيدة تغدي عواطفي برفقها وجمالها وكمالها.

---

(1): شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية. ص 60 – 61 .

(2): أحمد أمين: حياتي. ص : 298.

وكما قال الدكتور شعبان عبد الحكيم فإن أحمد أمين خلال هذه المراحل في حياته كانت مشاعره باردة في معظمها ولغته خالية من النبض والإيحاء حتى المواقف التي تثير الوجدان وتلهب المشاعر لم يصفها لنا كما يجب، كموت أخيه مثلا فلم ينقل لنا الموقف لحظة لحظة فكان من المفروض أن يصوّر لنا جو البيت والحزن الكئيب الذي أحاط به ولكنه اختصرها في جملة أو جملتين:« مرض أخي بالحمى التيفودية وبعد عناء كبير لفظ أنفاسه الأخيرة » فجاءت سيرته تقريرية خالية من الإثارة والمتعة الجمالية.

وبذلك فإن عاطفة أحمد أمين جاءت متنوعة مرة قوية ومرة باهتة ومرة باردة،وذلك على حسب الظروف والمواقف التي في حياته،وهي التي رسمت شخصيته،فحادثة وفاة أخته جعلت منه شخصا حزينا كئيبا ،وقصر نظره جعل منه معتزلا محبا للوحدة،وصدق من قال الإنسان ابن بيئته.

بعض النماذج من السيرة:

1- سيرة "الأيام" لطه حسين:

قدّم طه حسين في مجال الإبداع الأدبي أعمالا كثيرة لقت شهرة في الوسط الأدبي العربي المعاصر، من بين هذه الأعمال سيرته الذاتية "الأيام":« التي ليست مجرد سيرة ذاتية كتبها طه حسين ليؤرخ بها حياته الشخصية، ولكنها في حد ذاتها تعتبر رواية فنية من طراز أصيل »(1). ففي هذه السيرة قدّم الكاتب كل ما يتعلق بحياته في قالب رائع، قسّم سيرته إلى ثلاثة أجزاء كل جزء منها يتكون من عشرين فصلا.

ففي المرحلة الأولى يعرض لنا صوّرًا عن حياته في الريف المصرية ويقص علينا كيف كان يقضيها في بيت والده وبين أسرته، ومع معلّميه في الكتاتيب، وقد حفظ القرآن الكريم وتعلم التجويد على يد مفتش:« اتصلت أيام الصبي بين البيت والكتاب والمحكمة والمسجد وبيت المفتش ومجالس العلماء وحلقات الذكر لا هي بالحلوة ولا هي بالمرة، ولكنها تحلو حينا وتُمرُّ حينا آخر»(2). وبعدها يحدثنا عن فقد بصره وفقدانه لأخته التي ماتت بسبب المرض وإهمال الوالدين وجهلهما يقول:« أقبلت بوادر العيد وأصبحت الطفلة ذات يوم في شيء من الفتور والجمود لم يكد يلتفت إليها أحد، والأطفال في القرى ومدن الأقاليم معرّضون لهذا النوع من الإهمال، ولا سيما إذا كانت الأسرة كثيرة العدد وربة البيت كثيرة العمل، ولنساء القرى ومدن الأقاليم فلسفة آثمة وعلم ليس أقل منها إثما، يشكو الطفل وقلّما تعنى به أمهُ.....وأي طفل لا يشكو إنما هو يوم وليلة ثم يفيق، ويُبِلُّ فإن عنيت به أمه فهي تزدري الطبيب وتجهله، وهي تعتمد على هذا العلم الآثم، علم النساء، وأشياء النساء. وعلى هذا فقد صبينا عينيه، وأصابه الرمد، فأهمل أياما، ثم دعى الحلاق فعالجه علاجا ذهب بعينيه، وعلى هذا النحو فقدت هذه الطفلة الحياة ظلت هامدة محمومة يوما ويوما، وهي ملقاة على فراشها في ناحية من نواحي الدار، تعنى بها أمها وأختها من حين إلى حين، تدفع إليها شيئا من الغداء الله يعلم أكان جيدا أم رديئا »(3).

---

(1): مصري عبد الحميد حنورة : طه حسين وسيكولوجية المخالفة ، دار غريب ، د. ط،القاهرة،2006م.ص : 59.

(2): طه حسين : الأيام ،دار الهدى،د. ط،الجزائر،2006م.ص : 57.

(3): المصدر نفسه . ص :58.

ويبقى يصف أخته الصغيرة وهي تتقلب وتصرخ في فراش الموت، والعائلة من حولها لكن لا تعرف ما تفعله إلاّ الدعاء لها حتى انقطع النفس وفارقت الحياة، وتحدث عن وفاة أخ له كان عمره ثمانية عشرة سنة بسبب وباء الكوليرا الذي عمَّ المنطقة في ذلك الوقت، وعمّ الحزن البيت، وبعد هذا سافر إلى القاهرة مع أخيه الأزهري والتحق بالأزهر وتعلم فيه الفقه والنحو حوالي سنة كاملة، وقد ختم هذه المرحلة الأولى من سيرته بكلمة أبوية إلى ابنته الصغيرة يقول:« انك يا ابنتي الساذجة سليمة القلب طيبة النفس، أنت في التاسعة من عمرك، في هذه السنة التي يعجب فيها الأطفال بآبائهم وأمهاتهم ويتخذونهم مثلا عليا في الحياة....أليس الأمر كما أقول؟ ألست ترين أباك خير الرجال وأكرمهم ؟ ألست ترين أنه قد كان كذلك خير الأطفال وأنبلهم....ألست تحبين أن تعيشين الآن كما كان يعيش أبوك حين كان في الثامنة من عمره؟ ومع ذلك فان أباك يبذل من الجهد ما يملك، ويتكلف من المشقة ما يطيق ما لا يطيق، ليجنبك حياته حين كان صبيا. لقد عرفته يا ابنتي في هذا الطور من أطوار حياته (أي الطور الحالي)، ولو أني حدثتك بما كان عليه حينئذ (أي في طور الطفولة) لكذبت كثيرا من ظنك، ولخيبت كثيرا من أملك....وإنّي لأخشى لو حدثتك بما عرفت من أمر أبيك حينئذ، أن يملكك الإشفاق وتأخذك الرأفة فتجهشي بالبكاء »(1).

أما في الجزء الثاني فقد تحدث فيه عن حياته في الأزهر الذي عاش فيه مع أخيه الأكبر وهو طالب من طلاب الأزهر، يقيمان في غرفة تقع في حي حقير، وحديثه عن الوحشة في السكن، لذا حنّ إلى الرجوع لقريته وأهله، لولا مجيء ابن خالته ورفيق صباه، وتحدث عن عدم ترحيب أسرته به بعد العودة كما كانوا يفعلون مع أخيه.

وقد ختم المرحلة الثانية مثل المرحلة الأولى بكلمة وجهها هذه المرة إلى ابنه الشاب يقول فيها:« وها أنت ذا يا بنيَّ تهجر وطنك ومدينتك، وتفارق أهلك وأصدقاءك، وتعبر البحر في سنك هذه الصغيرة لتطلب العلم وحيدا في باريس. فدعني أهدي إليك هذا الحديث لعلك ترتاح إليه بين حين وحين، إذا أجهدك درسك، ووجدت في اللاتينية واليونانية مشقة وعناء، هنالك ترى لونا لم تعرفه من ألوان الحياة في مصر،وتذكر شخصا طالما ارتاح إلى قربك منه، وطالما وجد في جدّك وهزلك لذة لا تعدها لذة ومتاعا لا يعد له متاع »(2).

---

(1): طه حسين : الأيام . ص : 68.

(2): المصدر نفسه .ص :173 .

أما الجزء الثالث تحدث عن الأزهر والدروس التي يتلقاها:« درس التوحيد بعد أن تصلي الفجر، ودرس الفقه بعد أن تشرق الشمس، ودرس في النحو بعد أن يرتفع الضحى....ودرس في النحو أيضا بعد أن تصلي الظهر....حتى إذا صلّيت المغرب راح إلى درس المنطق يسمعه من هذا الشيخ أو ذاك »(1).

وقد بقي في الأزهر أربعة سنوات ، التي كان بعدها أربعين عام، وبعدها تحدث عن سبب سقوطه في امتحان الأزهر لنيل درجة العالمية، فقد بيَّن بأنها كانت مؤامرة من الشيخ الدسوقي الذي أمر بإسقاطه في الامتحان، وعن أساتذته في الأزهر عن صفاتهم وتعاملهم منهم الأستاذ إسماعيل رأفت:« كان منهم الصارم الحازم..... والمازح الباسم الذي لم يكن وجهه يعرف العبوس إلاّ نادرًا، وكان منهم ذو العلم العميق العريض الذي يبهر ويسحر ويذكي القلوب والعقول، وذو العلم والثقافة الرفيعة الذي يخلب باللفظ ثم لا يكون وراء لفظه الخلاب شيء ذوبال»(2).ومنهم حفني ناصف الذي كان يدرس العروض، والشيخ محمد الخضري الذي كان يدرس التاريخ الإسلامي. كذلك عن حياته في الجامعة وسفره إلى فرنسا، وكيف تعلم الفرنسية التي كانت على يد أستاذ كان يدرسه وعن طريق صديق له "محمود سليمان"، كذلك حدثنا عن حبه لسوزان التي كانت تقرأ له وإنكاره على نفسه هذا الشعور إذ يقول:« ولكن حبه كان يستحى حتى من نفسه فينكرها وكان الفتى يخفي شعوره، ذلك في أبعد ما يمكن أن يخلق لمثل هذا الشعور، وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له، وأين هو من الحب؟! وأين الحب منه؟!»(3). وبعدها كل هذا تحصل على شهادة الليسانس وشهادة الدكتوراه، وأصبح له مكانة في الوسط الأدبي والعلمي.

---

(1): طه حسين : الأيام . ص : 176.

(2): المصدر نفسه .ص :200.

(3): المصدر نفسه .ص :252.

لقد جاءت سيرة طه حسين تقوم على الصراحة والصدق، هذا ما جعلها قريبة إلى القارئ، وجعله يعيش لحظات حياته مشاركا معه في آلامه وشجونه، وقد جاءت هذه السيرة في أسلوب أدبي شفاف. ولقد عاب بعضهم على أسلوب الكاتب لكثرة ما فيه من عطف وتكرار كقوله: « ثم أدار المفتاح فانقطع جريان الماء، ثم ردّ على الإبريق غطاءه ثم هزه هزا رفيعا ليبلغ ما فيه من الماء الساخن أجزاءه كلها، ثم قام فألقى ما في الإبريق فما ينبغي أن يجد الشاي برد الخزف لان ذلك يفسده، ثم انتظر بهذا الشاي ثواني، ثم صب عليه الماء في رفق دون أن يملأ الإبريق إلى غايته » وقد نجد مثل هذا التكرار في كثير من عبارات الكتاب وهو كما يقال خروج عن أسس البلاغة (1)، وعلى حسب معلوماتنا فإن ذلك يعود إلى عدم البصر فقد كان يملي على ابنته دون أن ينتبه إلى التكرار الموجود بين جملة وأخرى.

ولعل الشيء الذي جعل سيرة طه حسين تلقى ذلك الرواج والشهرة هو اعتماده على الصراحة كما قال أنيس المقدسي وهي صفة جيدة وضرورية لدى الكاتب،لأنّها تقربه من القارئ وبذلك يجعله يعيش لحظات حياته مشاركا إيّاه آلامه وأوجاعه،فكانت سيرة طه حسين تجسيدا لحياته نقلها لنا خطوة خطوة،معتمدا على أسلوب أدبي راقٍ فصيح وبليغ يميل أغلبه إلى الأسلوب الروائي،ولعلّ هذا الأسلوب هو الأنجح.اعتمد على عبارات رائعة،وتصويرات فنية راقية،لغته موحية تنبض بالحياة.إذا قرأت موقفا له أو حادثة تجد نفسك تنساق وراء عباراته وتصويراته الفنية لهذه المواقف، فتجد نفسك وكأنك تحيا هذا الحدث وتعيشه على حقيقته.

وقد رأينا أن الكاتب في قصته يتحدث عن نفسه كمن يتحدث عن غلام عرفه ورافق تطوره في الحياة. كذلك لاحظنا أن هذه السيرة في أحداثها شبيهة بسيرة أحمد أمين، وقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بأن أحمد أمين عندما كتب سيرته في كتابه (حياتي) قد تأثر بكتاب (الأيام) لطه حسين، ويعود هذا التأثير لسببين هما: السبب الأول ما أحرزه كتاب الأيام من شهرة، والسبب الثاني هو النشأة الأزهرية المتشابهة بين صاحب (الأيام)، وصاحب (حياتي). (2)

---

(1): أنيس المقدسي: الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة. ص : 573.

(2): محمد صادق عفيفي: الدراسات الأدبية دراسة في التراجم القصة في الطفولة: حياتي، زقاق المذق. ص : 76.

صحيح أننا عند قراءتنا لهاتين السيرتين وجدناهما يتطابقان في العديد من الأمور وخاصة أنهما نشآ في بيئة واحدة، وتلقيا ثقافة واحدة، لكن هذا لا يدعو إلى القول بأنه تأثر بطه حسين، وقد نفي أحمد أمين ذلك مؤكدا بأن فكرة كتابة تاريخ حياته بدأت في شبابه،والدليل على ذلك أنه بدأ يكتب المواقف التي واجهته والأحداث المهمة في حياته على شكل مذكرات أي أنّه كان يمهد لهذه السيرة منذ الشباب.

2- سيرة "سبعون" لميخائيل نعيمة:

جاءت سيرة ميخائيل نعيمة مثلها مثل السيرالأخرى التي يتحدث فيها الكاتب عن حياته، والمحطات التي مرّ بها، فنجد سيرة ميخائيل نعيمة قد مرت بثلاثة مراحل تتمثل في: مرحلة الطفولة والصبا(1889م- 1911م)، مرحلة الشباب(1911م- 1932م)، ومرحلة الكهولة والشيخوخة(1932م- 1959م).

المرحلة الأولى:

حكى ميخائيل نعيمة في هذه المرحلة عن طفولته وصباه، واصفا فيها بيته وضيعته بسكنتا وأهله وصفا دقيقا، وتحدث عن مدرسة الطائفة الأرثوذكسية في الضيعة التي درس فيها. كذلك صوّر في هذه المرحلة ميوله الفطري إلى الصمت والعزلة وافتتانه بالطبيعة وتطلّعه إلى كشف أسرارها، ونزعته العميقة إلى التفوق، وحبه للغة العربية.

وفي سنة 1906م التحق بدار المعلمين الروسية، ودرس فيها ونال إعجاب الأساتذة الروس، وعند دراسته في هذه المدرسة اشترى كمنجة وحاول تعلم العزف، لكنها سرقت منه، فتعلم الرقص في هذه المدرسة، وكذلك قرأ الشعر الروسي، وحاول أن ينظمه، فكتب قصيدة وعرضها على أستاذه أفرامنكو فأعجب بها إعجابا شديدا، وبعد أن أنهى دراسته في بولتافا عاد إلى لبنان، وبعد أن تهيأ ميخائيل نعيمة للسفر إلى باريس لدراسة القانون، شاء القدر أن عاد أخوه من المهجر وطلب منه أن يسافرا معا إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة في جامعة السربون. وكان ذلك سنة 1911م.

المرحلة الثانية:

يحكي في هذه المرحلة عن حياته في المهجر، وانضمامه في "والا والا" إلى أخوية (أديب وهيكل)، انكبّ يتعلم الانجليزية، وانتسب إلى جامعة واشنطن لدراسة القانون وجمع بينها وبين دراسة القانون، حمل إليه البريد في السنة الثانية من دخوله الجامعة العدد الأول من مجلة (الفنون) التي أصدرها آنذاك صديقه في الناصرة نسيب عريضة، فدخل بها دنيا جديدة، وكتب مقالا بعنوان (فجر الأمل بعد ليل اليأس).

وعندما حلت الحرب العالمية الأولى نظم نعيمة جمعية سرية اسمها "سورية الحرة"، وبعدها عمل في إحدى قنصليات روسيا، وكسب قليلا من المال. وغادر" والاوالا" إلى نيويورك بعد أن نال شهادة الحقوق وشهادة الآداب من جامعة واشنطن، وقد كتب قبل مغادرته "والاوالا"

مسرحية (الآباء والبنون) في ثلاثة أسابيع. كذلك تتحدث في هذه المرحلة عن بعض كتبه التي ألفها مثل: "الغربال" في كيفية تكوينية وتفسير مقاييسه الأدبية ورأيه فيه، وفي النقد، كذلك عن همس الجفون"، وعن المقالات التي جمعها في كتابه "المراحل"، وحديثه عن موت جبران ووصف مراسيم الدفن في إيجاز، وعن أيامه الأخيرة في المهجر بعد أن صمم العودة إلى الوطن وما جناه في المهجر ودوره الأدبي في الرابطة.

المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة تحدث عن عودته إلى لبنان وفرحته الكبيرة بلقاء أهله، ووصفه لبلده بعد أن غاب عنه مدة طويلة، وعن مرض أخيه نسيب ووفاته وتأثره به، نشر في هذه المرحلة كتابه "زاد المعاد"، وتحدث عن أول كتاب كتبه في هذه المرحلة كتاب "جبران خليل جبران" الذي ترجم فيه حياة صاحبه، وعن وفاة أمه (1944م) ونسيب عريضة (1946م)، وعن استقلال لبنان والأحداث الكثيرة التي وقعت في حياته وحياة الناس منذ سنة 1949م حتى سنة 1959م التي بلغ فيها السبعين.

عرض ميخائيل نعيمة حياته في ثلاثة مراحل عرضا دقيقا، وقد كانت المرحلة الثالثة أهم المراحل، يقول جوزيف الخوري طوق في كتابه:« إن أغنى مراحل هذه الحقبة عند نعيمة هي مرحلة الستينات وحتى مطلع السبعينات، ففي المرحلة هذه بلغت نعيمة الفلسفية أعلى درجات نضجها الشكلي حيث صدرت له أعظم أعماله حتى اليوم: اليوم الأخير، يا ابن آدم، نجوى الغروب، وحي المسيح »(1).

لاحظنا أنّ ميخائيل نعيمة قد عني عناية كبيرة بوصف حياته بكل دقة خطوة خطوة، فتحدث عن أبسط الأمور التي جرت في حياته، على عكس ما وجدناه في سيرة أحمد أمين، فعند قراءتنا لسيرته الذاتية نجد أنّه لم يتطرق لجوانب حياته بنوع من التفصيل مثل الذي وجدناه عند ميخائيل كذلك رأينا أن الطبيعة عند ه هي مصدره ومهاده فقد تأثر بها كل التأثر فهي التي جلبت رؤاه ومشاعره وأفكاره وإبداعه.

---

(1): جوزيف الخوري طوق : موسوعة الأديب العملاق ميخائيل نعيمة ،دار نوبليس ط 2، بيروت ، 2003م. ص : 24 – 25.

3- سيرة "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة:

هي من أشهر السير الموضوعية في أدبنا الحديث، كتبها ميخائيل نعيمة عن صديقه جبران خليل جبران، متطرقا لكل أسرار حياته وأثرها في المجتمع البشري.

وهو يبدأها بمشهد احتضاره في أحد مستشفيات نيويورك، ونجد هذا في قوله: « ها هما العينان اللتان تبوحان بأسرارهما. فكم رأيت فيهما من بريق الهام ومن حرقة شوق ومن نور بهجة. كم رأيتهما تغتسلان بالدمع. وتلتهبان بالضحك....والآن لست أرى فيهما لا رعشة ولا ومضة....ها هما الشفتان الحساستان وقد كانتا بلون القرمز فأصبحتا بلون الرماد....»(1)، فجبران حسب ميخائيل لم يبق فيه من حياة إلاّ تلك الغرغرة التي كان ميخائيل يسمعها ويتألم لما أصاب صديقه الذي سيفارقه.

وبعد ذلك يعود بنا إلى الوراء، أي إلى البدايات الأولى لجبران وطفولته، والفرحة التي عمت الأسرة بولادته، والحياة التي عاشها وسط عائلته التي تقطن في حي يدعى "بوسطن" وهو حي حقير على وصف ميخائيل:« في بوسطن أحياء لمختلف الأميركيين الدخلاء. وكلها حقير وقذر »(2). وعند بلوغه الرابعة عشر سنة رجع إلى لبنان من أجل أن يتعلم العربية في إحدى مدارس لبنان، وبقي فيها أربع سنوات. ثم عاد إلى بوسطن بعد أن مر بظروف صعبة منها موت أمه وأخيه وأخته:« فبين الرابع من نيسان سنة 1902م والثامن والعشرين من حزيران سنة 1903م، فقدت أختي الصغرى ثم أخرى الأكبر ثم أمي »(3)، فبقي وحيد مع أخته الكبرى التي كانت تمتهن الخياطة من أجل العيش وقد كان جبران يحب الرسم والكتابة، وبعد مدة أراد أن يعرض رسمه في أحد المعارض، وفي معرض صغير تعرف على السيدة "ماري هاسكل" كانت رئيسة مدرسة مس هاسكل للبنات في هذه المدينة، وقد عرضت عليه أن يذهب معها إلى باريس على نفقتها ليتقن فن الرسم على أيدي كبار الفنانين وبقي فيها ثلاثة سنوات.

---

(1): ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة ،دار العلم للملايين،ط1،بيروت،1934،المجلد 3. ص :20.

(2): المصدر نفسه. ص :41.

(3): المصدر نفسه. ص : 81.

ثم حدثنا كيف التقى هو وجبران، وذلك أن جبران كتب روايته "الأجنحة المتكسرة" التي نالت إعجاب القراء، قرأ ميخائيل هذه الرواية فاستفزته لكتابة مقال فيها دعوته "فجر الأمل بعد ليل اليأس" وأرسله إلى " الفنون"، فقرأه جبران وسأل عن ميخائيل، وفي يوم من الأيام كان ميخائيل في إدارة الفنون وإذا بشخص يدخل عليه، فإذا به جبران:« وما إن وقع عليه نظري حتى قلت هذا جبران، ولم أكن أبصرت له صورة من قبل، وما إن راني حتى تقدم مني وقال: هذا ميخائيل نعيمة! فتصافحنا وتصادرنا كما لو كنا أخوين، شتتهما السنين ثم عادت الأقدار فجمعتهما » (1) ومن هنا بدأت علاقة الصداقة بينهما.

وعندما حلت الحرب العالمية الأولى ذهب نعيمة إلى الحرب وبقي سنة وشهرين، وعند عودته يجد جبران خليل جبران نشر قصيدته العربية "المواكب"، وكتاب "الجنون" وقد محت الحرب "الفنون" من سجل الصحافة، لكن بقيت "السائح" جريدة نصف أسبوعية لصاحبها عبد المسيح حداد، وتحدث عن نشوء الرابطة القلمية والأهداف التي تدعو إليها، وهي إخراج الأدب من الجمود والتقليد إلى الإبتكار والتجديد ،السائح هي التي كانت تنشر أعمالها، وكان مؤسسوها ميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، وعبد المسيح حداد، رشيد أيوب. كما حدثنا عن اجتماعاته الخاصة بجبران وكيف كانا يتجاذبان الأحاديث الأدبية، وما كان يقدمه لصديقه من ملاحظات على بعض منتجاته الكتابية "كالعواصف" و"السابق".

وبعد هذا عاد للحديث عن احتضار جبران:« الغرغرة تغور في الصدور ويبعد قرارها»(2) وتحدث عن جثمانه:« صباح الاثنين نقلنا الجثمان بالقطار إلى بوسطن »(3). وعن الوصية التي تركها لنسيب عريضة ولعبد المسيح حداد، وبعدها رسالة جبران لميخائيل، وعن رواية ملك البلاد وراعي الغنم، وختمها بكلمة تخليدا لجبران.

أول ما يلاحظ في هذه السيرة أنها كانت مزيجا بين حياة ميخائيل نعيمة وحياة جبران خليل جبران، فهو تحدث عن صديق عاش معه وارتبط به أشد الارتباط، ولازمه في عديد من أمور حياته، فقد اتبع الأسلوب نفسه الذي عمل به في سيرته (سبعون)، فهو صور حياة صديقه بكل دقة وعناية، وتطرق لجميع مراحل حياته كأنه عاش معه منذ صغره.

---

(1): ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة . ص : 161.

(2): المصدر نفسه. ص :277.

(3): المصدر نفسه. ص : 286.

خاتـــــــــمة

خاتمة:

من خلال هذا البحث والدراسة التي قمنا بها توصلنا إلى النتائج الآتية:

01- أن السيرة الأدبية صندوق سحري فيه التاريخ والأسطورة،هذا الصندوق إذا ما انفتح للباحث أحس أنه الكنز الذي قدسته الجماعة حقبا من الزمن عبر الأجيال موروثا خالدا ،أرادت من خلاله تفريغ مدركاتها العقلية ومخزونها الوجداني العاطفي.

02- أن السيرة عريقة جدا لما تحمله من مواد مبثوثة في ثناياها تعود إلى أزمنة موغلة ،الأمر الذي يؤكد بما لا يدع مجالا للشك عراقة الإنسان الذي أبدعها ،وما كانت تستمر لولا أن الجماعة هي ذالك الإنسان .

03- تحمل السيرة مخزونا هائلا من القيم التعليمية و التربوية ذات الخلفية الأخلاقية الروحية مثل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،تلك القيم جعلت النص مطية لها في الوصول إلى المتلقين وبناء شخصية الفرد الذي يبني مع غيره شخصية الجماعة.

04- تمتد السيرة من الأسطورة ،فالأولى جذورها تنبثق من الأسطورة التي ظهرت في العصور القديمة

05- لكل سيرة غاية خاصة بها، تنبع من طبيعة هذه السيرة والظروف التي أحاطت بصاحبها، وقد أشار بعضهم إلى هذه الغاية، بتصوير حياته أو حياة أشخاص آخرين.

06- تستفيد السيرة من الأجناس الأدبية الأخرى وأخذت منها مثل :فن الرواية وفن القصة،فقد أخذت من الرواية الإيهام بالواقع ،واستبطان الذات ،والمونولوج الداخلي للشخصية ، وأخذت من القصة القدرة على عرض الصراع بين البطل والبيئة والصياغة الروائية وأخذت من المسرحية الحركة والحوار.

07- يوجد فرق بين السيرة الذاتية والسيرة الموضوعية لكن هذا الفارق لا يمنعهما من وجود علاقة بينهما تتمثل بأن هدفهما واحد هو نقل حياة شخص من الأشخاص،وجعل هذه الشخصية مشهورة ومعروفة لدى القارئ.

08- في دراستنا لسيرة أحمد أمين وجدنا أنّ أسلوبه أسلوب تاريخي الذي يعتمد على التأريخ وينهج نهج المؤرخين، وجاءت لغته باردة خالية من الإيحاء والجمال ولكنها سهلة على أي قارئ بسيطة الألفاظ على قدر المعاني.

09- أحمد أمين لم يكن كاتبا ومؤرخا فحسب بل فيلسوفا أيضا، فتفلسف على الوجود والقدر والحياة والطيور والأشجار والنبات وغيرها.

10- شخصيات السيرة تعددت وتنوعت بعضها رئيسة والأخرى ثانوية،ذكر معظمها بوصف خارجي و داخلي ،ولكن لاحظنا بأنه لم يصف اخوته،هذا ما لم نفهمه من بداية السيرة إلى نهايتها وبقي هذا الأمر مبهما بالنسبة لنا.

11- للكاتب القدرة على التعبير عن أدق الخواطر ،وله كذلك القدرة على سبر الأغوار النفسية وتصوير ما تحويه من عواطف ،وهذا ما فعله في وصف شخصيته تصويرا لا يستطيع أحدا به إلا ذوي المواهب الفكرية والأدبية.

12- كلما سمت غاية المؤلف في سيرته كلما ارتقى مستوى هذه السيرة فنيا مع مراعاة حسن المعالجة الفنية لهذا العمل الأدبي ،وهدا ما نجده عند ميخائيل نعيمة في سيرته.

13- الصدق ملمح أساسي في السيرة ،يعطيها جمالا وتأثيرا في النفوس،وهذا ما وجدناه في سيرة " الأيام " لطه حسين،وسيرة" جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة،ووجدنا الصراحة تكتسي كل صفحات سيرة أحمد أمين.

قائمة المصـــــادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجـــــــــــع

أولا: المصادر:

1- أحمد أمين : حياتي ،موفم للنشر د.ط،الجزائر ، 1988م.

2- - طه حسين : الأيام ،دار الهدى ،د.ط، الجزائر ، 2006م.

3- ميخائيل نعيمة :المجموعة الكاملة ،دار العلم للملايين ،ط1،بيروت 1934م،المجلد 03.

ثانيا: المراجع:

1- أحمد أمين : ضحى الإسلام ،دار الكتاب العربي ،ط 10، بيروت-لبنان ،د.ت،ج2.

2- أنيس المقدسي :الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة،دار العلم للملايين،ط5،بيروت لبنان،1990م.

3-إحسان عباس : فن السيرة ، دار الشروق والتوزيع ، ط1، 2008م.

4- جليلة الطريطر :مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات)، مركز النشر الجامعي مؤسسة سعيدان للنشر ،د. ط ، 2004م، ج1، ج2.

5- جوزيف الخوري طوق : موسوعة الأديب العملاق ميخائيل نعيمة دار نوبليس ، ط2 ، بيروت ،2003م.

6- حنان محمد موسى حمودة : الزمكانية وبنية الشعر المعاصر ،أحمد عبد المعطي أنموذجا،دار الكتاب العالم ، ط2 ، د. ت.

7- حنان قرقوتي : من العلوم عند المسلمين، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1 ، بيروت- لبنان ، 1427هـ - 2006م.

8- طه ودي : هيكل رائد الرواية السيرة و التراث ، دار النشر للجامعات ، ،ط2، القاهرة ،1417 هـ - 1996م.

9- يوسف أسد داغر : مصادر الدراسة الأدبية الطبعة الألفية ،مكتبة لبنان ناشرون، ط1،بيروت- لبنان، 2000م.

10- يحي عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، د.ط،بيروت ،د.ت.

11- ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ و فن ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، القاهرة ،1930م.

12- محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية ،دار نوميديا للنشر والتوزيع، د . ط،2007م.

13- محمد يوسف نجم : فن القصة ،دار الثقافة ،د.ط ،بيروت – لبنان ،د.ت،ج.2

14- محمد عبد الغني حسن : التراجم و السير ،دار المعارف ،د.ط ، 1969م.

15- محمد مسعود جبران :فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية) دار المدار الإسلامي ،ط 1،2004 م،ج.1

16- محمد صابر عبيد:السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية،عالم الكتب الحديث ، ط1 ،1467هـ - 2007م.

17- محمد صابر عبيد : المغامرة الجمالية للنص القصصي ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ،الأردن ،1431 هـ - 2010م.

18- مصطفى الصاوي الجيني : في الأدب العالمي :القصة والرواية ، السيرة ،منشاة المعارف جلال حزي وشركاؤه، د.ط،د ت.

19- مصري عبد الحميد حنورة :طه حسين سيكولوجية المخالفة ،دار غريب ،د.ط ،القاهرة ،2006م.

20- فواز الشعار : الأدب العربي ،دار الجيل ، د.ط ،بيروت ،د.ت.

21- شعبان عبد الحكيم : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية ،دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،ط 1،2008م.

ثالثا:المراجع المترجمة:

1- إدل ليون :فن السيرة الأدبية،ترجمة صدقي حطاب ،مؤسسة الحلبي وشركاؤه،د.ط،القاهرة،1973م.

2- مايكل كوبرسون :في السيرة العربية عصر المأمون ،ترجمة محمود محمد مكي ،دار النشر المجلس الأعلى للثقافة،ط1،القاهرة،2005م.

رابعا: المعاجم:

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م، المجلد 7.

2- المعجم العربي الأساسي :المنظمة العربية للتربية والثقافة ،د.ط،د.ت.

3- الفيروز أبادي أبي طاهر محي الدين محمد يعقوب بن إبراهيم ابن عمر الشيرازي قاموس المحيط ،بيت الأفكار الدولية ،ط4،بيروت لبنان ،2004م.

خامسا:المجلات :

1- زياد محبك ،(الأسطورة) مجلة الموقف الأدبي ،اتحاد الكتاب العرب ،ع172،س:15،دمشق-سوريا،1985م.

سادسا:الرسائل الجامعية:

1- أحمد رحماني :النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري :بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي القديم ،1408 هـ - 1987م.

2- وليدة بن طالب : سيرة بني هلال دراسة سردية : دراسة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي.

سابعا: مواقع الانترنيت :

- htt p : www…….com /spin.php 14819-22 ksimilarppes.
- www. Izzatomar.com/..index/22php ? .... viewarticlecartid.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة

مقدمة ..... أ

مدخل

أولا: السيرة في حدود الأسطورة و التاريخ 2
ثانيا : فن السيرة في الأدب الغربي 7
ثالثا: فن السيرة في الأدب العربي 10

الفصل الأول

المبحث الاول

مفاهيم فن السيرة وأنواعه

أنواع فن السيرة 17
أولا السيرة الذاتية 17
أ)- أنواع السيرة الذاتية 18
1)- السيرة الذاتية الشعرية 18
2)- السيرة الذاتية القصصية 19
3)- السيرة الذاتية الروائية 20
4)- السيرة الذاتية النقدية 20
ب)- أسباب كتابة السيرة الذاتية 21
*/ التبريرية 21
*/ الرغبة في إتخاذ موقف ذاتي من الحياة 22
*/التحقق من ثورة أو انفعال 22
*/تصوير الحياة المثالية 22
*/تصوير الحياة الفكرية 22
*/الرغبة في استرجاع الذكريات 22
*/الصنف الإخباري 23

*/الصنف الذي يقص المغامرات 23
ج)- بعض المؤلفات في السيرة الذاتية 24
ثانيا: السيرة الموضوعية(الغيرية) 25
أنواع السيرة الموضوعية 26
السيرة الغيرية الشعرية 26
2-السيرة الغيرية القصصية 27
3- السيرة الغيرية الروائية 27
4- السيرة الغيرية النقدية 28
ب- بعض المؤلفات في السيرة الموضوعية 29
ثالثا الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الموضوعية 30
سيرة البلدان 32
خصائص فن السيرة 33

المبحث الثاني

كتابة السيرة وعلاقتها بالفنون الأخرى

أولا: كتابة السيرة 34
1- الموضوع 34
2- البحث 36
3- النقد 37
4- التحليل النفسي 39
5- الزمن 40
ثانيا: علاقة السيرة بالفنون الأخرى 42
علاقة فن السيرة بفن الرواية 42
علاقة فن السيرة بفن القصة 44

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية

أحمد أمين (1886- 1954م) 47
تلخيص سيرة حياتي لأحمد أمين 48

منهجه والروعة الفنية 52
1)- منهجه 52
2- الروعة الفنية 55
ا- عذوبة الحديث 55
ب)- روعة التصوير 56
فلسفته 60
الشخصيات 62
1/ العائلة 63
الأب 63
الأم 64
الجدة 65
2/ الحارة 66
الرجلُ الغني 66
القصّاص الشعبي 66
المشعوذ 67
طالب الأزهر (الصحبة الجديدة) 67
أستاذ اللغة العربية 68
نموذج المدرس 69
أستاذ اللغة الفرنسية 69
مدّرس الحساب 69
مدّرس اللغة العربية 69
مدّرس الدين 69
الكتّاب 70
أساتذة الأزهر 70
أساتذة مدرسة القضاء 71
أستاذ أصول الفقه 71
أستاذ اللغة العربية 71
أستاذ الطبيعة 71
أستاذ التاريخ 71
أستاذ الحساب 71
أستاذ الأخلاق 72
نموذج انجليزي 72
تصوير البيئة والعادات 75
1)- زحف المدنية 75
2)- الضرائب 77
3)- تجارة الرقيق 78

4)- الحالة الصحية 78
5)- الخرافات 79
6) مراكز الثقافة 80
في الكتاب 81
في المدرسة 83
في الأزهر 84
في مدرسة القضاء الشرعي 86
سلطة الأب 87
البعد الاقتصادي 88
البعد الديني 89
التصوير النفسي لشخصية أحمد أمين 90
الصورة الأولى 90
الصّورة الثانية 91
الصورة الثالثة 91
الصورة الرابعة 92
الصورة الخامسة 92
بعض النماذج من السيرة 95
1- سيرة "الأيام" لطه حسين 95
2- سيرة "سبعون" لميخائيل نعيمة 100
المرحلة الأولى 100
المرحلة الثانية 100
المرحلة الثالثة 101
3- سيرة "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة 102

خاتمة

خاتمة 105

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع..... 108

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات..... 112